بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - الرياض
قسم الدعوة والاحتساب

# بناء الفرد في عصر الدعوة المثلى

بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير

مقدم من الطالب / إبراهيم بن يوسف بن محمد المرزوقي
اشراف الدكتور / عبد الله بن يوسف الشاذلي
وكيل قسم الدعوة والاحتساب

١٤٠٤/١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٤/١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث : ـ

الحمد لله الذى جعل السعادة للسالكين سبيل الهداية ، فأنار لهم الطريق وأبان لهم منهج اليقين فسلكوه وفازوا به ، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين الذى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته الى يوم الدين . أما بعد : ـ

فان الحصول على درجة الماجستير بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية يقتضى من الطالب أن يكتب بحثا تكميليا فى موضوع من المواضيع التى تطرحها الكلية ضمن تخصصه ، وقد تم اختيارى للموضوع المطروح بعنوان : " بناء الفرد فى عهد الدعوة المكى " . وكان السبب الذى دفعنى للكتابة فى هذا الموضوع هو أننى منذ وقت مبكر لما أراد الله لى الخير وهدانى اليه فالتحقت بالدراسة الاسلامية وعلمت من خلال تلك الدراسة أن الاسلام لحينما اختاره الله دينا لعباده ميز معتنقيه بذاتية خاصة تسمى الذاتية الاسلامية أو الشخصية الاسلامية ، ولقد كنت مشغولا بالبحث فى هذا الموضوع لابراز الجوانب الحية البارزة التى تتميز بها هذه الشخصية عن غيرها والتى أراد الله لها أن تصبح خير أمة أخرجت للناس ، وكانت نواتها الاولى فى مكة .

وحيث أن بناء تلك الشخصية من ألزم الاشياء وأهمها حتى تقوم وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، فاننى شعرت بضرورة بحث هذا الموضوع وأحسست برغبة قوية فى أن أتناوله لان بناء الفرد له مكانته وأهميته ، فهو الاساس الاول الذى ينطلق منه الانسان الى المجتمع ومتى كان الاساس قويا متينا لامكن أن قوته ومتانته تؤثر على المجتمع وتنعكس عليه .

ومن المعلوم للجميع أن اللبنة الاولى للاسلام كانت فى بداية العهد المكى ، وكان رائدها ومبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أيده الله بآياته واصطفاه برسالته ، فقام يبنى ويربى تلك الجماعة حتى أظهر الله دينه وعمت كلمته جميع العالمين .

لقد خلق الله الانسان ومنحه من المدركات الحسية والعقلية والقلبية والنفسية ما يعينه فى حياته ويصله الى خالقه ، وقد وجه القرآن الكريم الجماعة المسلمة الى مراعاة هذه الجوانب وتربيتها لما يصلح من شأنها ويقوم ببنائها وثقلها حسب المنهج الالهى المرسوم لها .

وكان منهجى فى ذلك أننى وقفت وقفة متأنية عند آيات الكتاب الحكيم التى تعرضت لهذه المسائل وخاصة الايات المكية منها ، حيث انها كانت تعالج وتهتم ببناء الفرد فى العهد المكى ، وتدعوه الى المنهج الربانى الذى فطرت عليه ، حتى يصبح الفرد فى ظلالها ذا نظرة واعية واسعة ينبض حسه بالاسلام .

كما أننى استفدت فى توضيح وبيان ماترمى اليه تلك الايات البينات بأقوال علماء التفسير

معتمدا فى الغالب على تفسير ابن كثير ، ومستشهدا كذلك بأقوال علماء آخرين فى لبيان القضية وتعريفها .

وقد سلكت فى ترتيب كل بناء المسلك الذى ينبغى أن يقوم عليه ما يليه ، فبدأت بالبناء الادراكى حيث أنه اذا كان سليما أمكنه أن يكون لديه عقيدة يستطيع من خلالها أن تحمل نفسا راضية بربها قائمة على الاخلاق والسلوك .

أما خطة البحث فكانت كما يلى :-

اشتمل هذا البحث على المقدمة : وقد عرضت فيها الدافع لاختيار الموضوع والمنهج الذى سرت عليه فى هذا البحث ، ومدخلا بتعريفات مفردات البحث وأربعة فصول يسبق كل فصل تمهيد أبين فيه أهميته وما يترتب عليه ومدى صلته بالقدرة الالهية .

الفصل الاول :- وهو البناء الادراكى وتحدثت فيه عن أهمية الادراك الانسانى وتقسيمه الى ثلاث أقسام :

أولا :- الحس :- ومعناه معرفة بواسطة الحواس وموقف القرآن من الحواس .

ثانيا :- العقل :- معنى العقل فى القرآن والادراك العقلى والتربية العقلية ودعوة القرآن للعقل ودور العقل فى مواجهة الافات العارضة للانسان . والعلاقة بين العقل والشرع ، والعلاقة بين العقل والقلب .

ثالثا :- القلب :- معنى القلب فى القرآن والادراك القلبى وأحوال القلب ومسؤوليته وعيوب القلب وأمراضه ، ثم تحقيق التوازن بين المطالب المادية والروحية ثم بيان وتعقيب ذكرت فيه خلاصة عما تقدم ونموذجا عمليا لما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصل الثانى :- وهو التكوين العقدى : تحدثت فيه عن موقف العرب من العقيدة قبل البعثة وعن ضرورة وجود عقيدة ، وعن عناصر العقيدة الستة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشبهة انكار الرسل من البشر والرد عليها والايمان باليوم الاخر وبالقدر خيره وشره ، وعن دحض العقائد الفاسدة كالوثنية والشرك والصابئة والتشبيه عند اليهود ، والتثليث عند النصارى ، ثم بيان وتعقيب عرضت فيه خلاصة ما مر سابقا ونموذجا عمليا لما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصل الثالث :- وهو التربية النفسية وتحدثت فيه عن معنى النفس فى القرآن والعلاقة بين النفس والروح ، وأنواع النفوس وحالاتها ، وعناصر التهذيب النفسى ولفت النظر الى عيوب النفس وأضرارها ثم بيان وتعقيب ذكرت فيه خلاصة عما تقدم ونموذجين عمليين لما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصل الرابع :- وهو بناء الاخلاق والسلوك وتحدثت فيه عن الاخلاق عند العرب فى الجاهلية وموقف الاسلام من الاخلاق العربية وأبرز الصفات الاخلاقية كالصدق والامانة والوفاء والرحمة والعدل والاحسان ، وعن المسؤولية الاخلاقية ، والجزاء الاخلاقى ثم بيان وتعقيب وقد ذكرت فيه خلاصة ماتقدم ونموذجين من الخلق الرفيع مما الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه .

وأخيرا كانت الخاتمة : وقد عرضت فيها نتائج البحث التى توصلت اليها من حيث ضرورة الرجوع الى الاسلام ودعوة القرآن فى بناء الفرد كما كانت عليه النواة الاولى فى عهدها المكى .

وكنت آمل أن أصل فى بحثى هذا الى مقارنة بين بناء الفرد فى فترة هذه الدراسة وفى وقتنا الحاضر ، بيد أن الظروف حالت دون ذلك فكان منها مايتعلق بالوقت ، ومنها مايتعلق بموضوع الدراسة نفسه . وأملى أن يتحقق هذا فى المستقبل ان أتيحت لى الفرصة ، كما أننى تارك المجال لمن أراد ذلك .

هذا ماوفقت اليه ، فان كان خيرا فالفضل كله لله ومعونته لى على ذلك ، وان كان غير ذلك فمن نفسى ، وعذرى أننى مازلت فى أول الطريق ومن سار على الدرب وصل ، وبلغ الغاية بحول الله وقوته ومعونته فى الامر كله .

وأرجو من الله العلى القدير أن يأخذ بأيدينا جميعا لما فيه الخير والصلاح لعمل الدنيا والاخرة فانه على كل شىء قدير وبالاجابة جدير .

وحسبى الله ونعم الوكيل وهو نعم المولى ونعم النصير .

**********

## شكـــر وتقديـــر

بعد أن وفقنى الله الى اتمام البحث واكماله لا يسعنى الا أن أتوجه اليه سبحانه بالحمد والثناء الجميل المستحق لذلك أولا وآخرا وظاهرا وباطنا فهو أهل للحمد والثناء على انجاز كل عمل لانه لا يتم الا بتوفيقه ومعونته على ذلك .

كما لا يفوتنى أن أنوه بشكرى وتقديرى الى الاستاذ الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى وكيل قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالاشراف على اعداد هذا البحث ولما أبداه من توجيهات وملاحظات قيمة قصد الوصول بهذا البحث الى المستوى العلمى ، وكان أثناء فترة اعداده مثالا صادقا للصبر والاخلاص فى أن يخرج العمل الذى يشرف عليه مقبولا قدر جهد الباحث ، كما أنه لم يبخل فى تقديم العون والمساعدة وكان يلقانى فى أى وقت أقدم عليه بصدر رحب ووجه بشوش مما جعلنى أكن له كل ود واحترام

كما أتقدم بشكرى وتقديرى لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ولكلية الدعوة والاعلام خاصة حيث أتاحت لى فرصة الالتقاء فى هذا الجو العلمى الدعوى طيلة فترة الدراسة مع أساتذة فضلاء وأخوة كرام استفدت منهم .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والاحترام لوزارة التربية والتعليم بدولة قطر حيث كانت السبب فى ابتعاثى وتسهيل كل الامور وتذليلها لحصولى على هذه الاجازة العلمية .

وهذا الشكر لهؤلاء جميعا نابع من اعترافى لهم بالجميل ، فان من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له " . رواه أبو داود والنسائى باسناد صحيح (١)

---

(١) انظر اسماعيل بن محمد العجلونى : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس . جزء ٢ ، صفحة ٢٩٤ .

## المدخـــــل

## تعريفات بمفردات البحـــــث

### ١ ــ البناء فى اللغـــة والاصطـــلاح

التعريف اللغوى : ــ

البناء بالكسر بناءا وبالكسر والقصر بنية وبنى وبالضم والقصر بنية وبنى أى بناء يبنيه بنيـا وبنـاء وبنيانا وبنية وبناية نقيض هدمه والبنية مابنيته جمعها بنى وبنى ، وهى الفقرة والخلقة يقـــال هو قوى البنية أى الخلقـــة (١) .

التعريف الاصطلاحى : ــ

١ ــ عند الفقهاء : ــ عدم تجديد التحريمة الاخرى واتمام مابقى من الصلاة التى سبـــق للمصلى الحدث بالتحريمة الاولى ويقابله الاستئناف .

٢ ــ عند الصرفيين والنحاة : يطلق على عدم اختلاف الكلمة باختلاف العوامل ويطلق أيضـــا على الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها .

٣ ــ عند الحكماء : هى الجسم المركب على وجه يحصل من تركيبها مزاج وهى شرط للحيـاة عندهـــم .

٤ ــ عند المتكلمين : فردة لايمكن الحيوان من أقل منها (٢)

المقصود به عندنا هنـــا :

هو تلك الاعضاء والاجهزة والمراكز الحسية والمعنوية التى زود بها الانسان ليتمكن من خلالـه رؤية وادراك ماحوله من حقائق الكون التى بثها سبحانه فى هذا الوجود ، والعالم الذى نعيـش فيـــه ، ليهتدى اليه بفطرته السوية ، التى فطر الناس عليها ، قال تعالى : ( فطرة اللـــه التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون )(٣) .

" فالانسان اذا بشهادة رب الانسان فيه عنصر المادة المعرض للكون والفساد والتحلل والتغير وفيه غريزة الحيوان وخصائصـه وفيه ادراك العقل وسلطانه وفيه كذلك الروح الملكوتية ذات الاشواق الى الخير والجمال والكمال والتدين وفيه الخير والشر " (٤)

---

(١) ــ ابن منظور : لسان العرب الجزء الرابع عشر ص ٩٤ ، الزمخشرى : أساس البلاغـــة ص ٥٢ ، محمد فريد وجدى : دائرة المعارف فى القرن العشرين . الجزء الثانـى ص ٣٦٩ .

(٢) ــ محمد على الفاروقى التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون الجزء الاول ص ٢٢٧ ــ ٢٢٩ .

(٣) ــ سورة الروم آية ٣٠ .

(٤) ــ الاستاذ / محمد الحمداوى : فى نطاق التفكير الاسلامى ص ٦ .

## ٢ ــ الفرد فى اللغة والاصطلاح

التعريف اللغوى : ــ

الفرد بالفتح وسكون الراء المهملة وفتحها وكسرها بمعنى واحد ( والفرد ) الوتر والجمع أفراد ( وفرادى ) بالضم على غير قياس كأنه جمع فردان ( وفرد ) بمعنى انفرد ( يفرد ) بالضم ( فرادة ) بالفتح ( وتفرد ) بكذا واستخرجه انفرد به ويقال جاءوا فرادا ( وفرادى ) منونا وغير منون أى واحدا واحدا [١] .

التعريف الاصطلاحى : ــ

١ ــ عند الشعراء : يطلق فى الشعر على البيت الواحد ويقال بيت فرد .

٢ ــ عند النحاة : يطلق على الفرد [٢] .

٣ ــ عند المحدثين : هو الحديث الغريب .

٤ ــ عند الحكماء والمتكلمين : هو النوع المقيد بقيد التشخص وقيل هو الطبيعة المأخوذة مع القيد

٥ ــ عند أهل العربية : هو الماهية مع وحدة لا بعينها [٣] .

المقصود به هنا عندنا :

ان الفرد هو الذى يتكون من أفراد المجتمع والجماعات وهو ذات فردة يؤدى الى ذوات أخرى يتعاونون مع بعضهم البعض لاهداف وغايات سامية ، والفرد المسلم ما هو الا لبنة فعالة فى بناء المحيط الذى يعيش فيه يؤدى ما افترض عليه من واجبات ويأخذ حقوقه حسب المنهج الالهى الحق وانتمائه الى عقيدة واحدة ينبثق منها السلوك عند الافراد الذين يقوم عليهم المجتمع الاسلامى .

ويقول سيد قطب رحمه الله : " وطريق الانسان فى حياته يبتدئ من الفرد وينتهى بالجماعة [٤]

---

(١) ــ محمد بن ابى بكر عبد القادر رازى : مختار الصحاح ص ٤٩٦ ، دائرة معارف القرن العشرين ، الجزء السابع ص ١٦٣ ــ ١٦٤ محمد فريد وجدى ، ابن منظور : لسان العرب الجزء الثالث ص ٣٣٢ الزمخشرى : أساس البلاغة ص ٤٦٨ .

(٢) ــ محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٨٤ .

(٣) ــ محمد على الفاروقى التهانوى : الجزء الخامس ص ١١٠٧ باب الغاء فصل الدال .

(٤) ــ سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، القسم الاول ص ١٠٦ .

## العهد فى اللغة والاصطلاح

العهد فى اللغة الامان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية ( وعهد اليه ) من باب فهم أى اوصاه ويقال عهد الى فى كذا أى أوصانى ومنه حديث على كرم الله وجهه عهد الى النبى الامى أى أوصى ومنه قوله عز وجل : ( ألم أعهد اليكم يابنى آدم )[١] . يعنى الوصية ، والامر .

والعهد الذى يكتب للولاة وهو مشتق منه والجمع عهود ، وقد عهد اليه عهد . والعهد أيضا الوفاء وفى التنزيل ( وما وجدنا لاكثرهم من عهد )[٢] أى من وفاء .

والعهد الالتقاء ، وعهد الشىء عهدا عرفه ، ومن العهد أن تعهد الرجل على حال أو مكان يقال عهدى به فى موضع كذا وفى حال كذا ، وعهدته فى مكان كذا أى لقيته ، وعهدى به قريب ، والمعهود الذى عهد وعرف )[٣] .

العهد فى الاصطلاح :- حفظ الشىء ومراعاته حالا بعد حال ، ثم استعمل فى الموثق الذى يلزم مراعاته[٤] وهو كل ماعوهد الله عليه وكل مابين العباد من المواثيق فهو عهد[٥] .

والعهد أمر عام يشمل مابينك وبين الله والناس ونفسك[٦] .

ولكن معناه هنا ماحدث فى تلك الفترة للبعثة النبوية من تغيير للحال التى كانوا عليها وحفظ لنا الاسلام ذلك العهد المشرق الوضاح بأسطر من نور أخلاقية وسلوك ذلك الرعيل الاول لتكون نورا وهداية يسير الناس على نهجه وطريقه .

---

(١) - سورة يس آية ٦٠ .
(٢) - سورة الاعراف آية ١٠٢ .
(٣) - ابن منظور : لسان العرب - الجزء الثالث ص ٣١١ - ٣١٣ .
(٤) - على محمد شريف الجرجانى : كتاب التعريفات ص ١٦٥ .
(٥) - ابن منظور : لسان العرب - الجزء الثالث ص ٣١١ .
(٦) - الدكتور محمد محمود حجازى : التفسير الواضح جزء ١٥ ص ٢٢ .

## معنى الدعوة فى اللغة والاصطـــلاح

الدعوة فى اللغة : ــ

كلمة تطلق ويراد بها عدة معان ومنها : الرغبة الى الله تعالى ، والفعل دعا ومصـدره الدعاء والاسم الدعوة والدعاية والدعاوة ، ومنها بمعنى الحلف والدعاء الى الطعام وبضـــم كالمدعاة ، وبالكسر الادعاء فى النسب [١] .

فيتضح لنا أن كلمة دعوة مأخوذة من الدعاء الى الشئ بمعنى الحث على قصده ، فمن هـــذا القبيل قول الله تعالى : ( والله يدعو الى دار السلام ) [٢] أى الامن والسلامة من جميع المخاوف وهى الجنـــة وقوله عز وجل : ( قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه ) [٣] وهو ارتكاب الفاحشة . ومثلها كلمة الدعاية التى جاءت فى كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عرقل لدعوته الى الاسلام ( أدعوك بدعاية الاسلام ) [٤] أى بدعوتـــه وهى كلمة الشهادة وهى أول كلمة يدعى اليها الكفار ليدخلوا فى الاسلام ، كما أن كلمة دعوة تعنى المحاولات القوليـــة والفعلية التى يقوم بها الدعاة من أجل وصول الى هدف اوعمل ، وهى لفظ مشترك يطلق علـــى الاسلام وعلى عملية نشره بين الخلق ، وسياق ايرادها هو الذى يحدد المعنى المراد منهـــا فمثلا اذا قيل هذا من رجال الدعوة الى الله كان المراد بها هنا محاولات النشر والتبليـغ ، وان قيل اتبعوا دعوة الله كان المراد بها الاسلام .

أما الدعوة فى الاصطلاح :

فلها تعريفان لانها اما بمعنى النشر والتبليغ أو بمعنى الدين ، فهى بالمعنى الاول علـــم يعرف به جميع المحاولات القولية كالخطابة والدرس ونحو ذلك ، والفعلية كالقدوة الحسنة والسلوك الطيب ، والفنية كمراعاة جانب التطبيق وملاحظة تأثيره الدعوة فى عقـول النفوس ونفوس المدعوين والهادفة الى تبليغ الاسلام ونشره بين سائر البشر ، ويتحقق النشر والتبليغ عن طريق قيـــام المستنيرين فى الدين وأمثالهم بدعوة الناس الى الحق وحثهم على الخير والهدى والامـــر بالمعروف والنهى عن المنكر آملا فى الفوز بسعادة الدارين ورضوان الله سبحانه فينتقلون مـــن محيط الى محيط فيه احياء للنظام الالهى الذى انزله الله عز وجل على نبيه الخاتم [٥] .

---

(١) ــ الاستاذ / أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط الجزء الثانى ص ١٨٨ ، الرازى مختار الصحاح ص ٢٠٥ .

(٢) ــ سورة يونس آية ٢٥ .

(٣) ــ سورة يوسف آية ٣٣ .

(٤) ــ محمد فؤاد عبد الباقى : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الجزء الثانـــى ص ٢٢١ .

(٥) ــ أحمد أحمد غلوش : الدعوة الاسلامية ص ١٠ ــ ١٣ ، على محفوظ : هدايـــة المرشدين ص ١٧ ، البهى الخولى : تذكرة الدعاء ص ٤٤ ، الدكتور عبد الرؤوف شلبى

وهى بالمعنى الثانى : ( الخضوع لله والانقياد لاوامره ونواهيه وكل ما كلفنا به بلا قيد ولا شرط وعلى أن يكون ذلك الخضوع عن طريق الاختيار . أو هى الدين الاسلامى الذى ارتضاه الله لخلقه وأوصى به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم الذى تعهد بحفظه قال تعالى ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) [١] . أو هى النظام العام والقانون الشامل لشؤون الحياة ومناهج سلوك الناس التى جاء بها من عند الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر بتبليغها وبيان كل ما يتعلق بها وما يترتب على العمل بها أو تركه من ثواب أو عقاب فى دار البقاء )(٢)

والدليل عليها من الكتاب قوله تعالى : ( ادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ) [٣] وقوله تعالى ( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ) [٤] . ومن السنة فان الرسول كان خير الدعاة بأفعاله وبأقواله وبصفاته وباقراراته ، وبما أننا مطالبون بالاقتداء به صلوات الله عليه وسلامه فهو قدوتنا فى كل شىء وهذا دليل قوى على الدعوة الى الحق فى كل زمان ومكان ، واتباعا للسنة الفعلية التى قام عليه الصلاة والسلام بها .

وأما سنته القولية التى زخرت بها كتب السنة فهى كثيرة أيضا فمنها ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص من آثامهم شيئا ) [٥] . ويقرر عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث وأمثاله أن الدعوة يجب أن تكون الشغل الشاغل للفرد المسلم كما كانت حياته عليه الصلاة والسلام كلها موقوفة على ذلك والشعار الذى كان يتبعه دائما طالب الهداية والسداد لامته بقوله : ( اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ) فالحرص على الدعوة ولزوم أمرها شاق ولكن نتيجتها مضمونة بالفوز بالجنة وحصول الاجر والثواب من رب العالمين [٦] .

---

(١) ــ سورة الحجر آية ٩ .
(٢) ــ الدكتور أحمد أحمد غلوش : الدعوة الاسلامية ص ١٢ ــ ١٣ .
(٣) ــ سورة النحل آية ١٢٥ .
(٤) ــ سورة فصلت آية ٣٣ .
(٥) ــ مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم الجزء الثانى ص ٤٦٦ .
(٦) ــ محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة الجزء الاول ص ٢٤ وما بعدها . ، الشيخ محمد أبو زهرة : خاتم النبيين القسم الاول ص ٥١٤ .

## معنى المكى فى اللغة والاصطـــلاح

المكى فى اللغة : ــ

للكشف عن معناها نرى أن الفعل مكك بمعنى مكه و امتكه وتمكمكه ومكمكه بمعنى مصه جميعـه وقيل بمعنى أهلكه ونقصه ومنه مكه للبلد الحرام أو للحرم كلـــه لانها تنفى الذنوب أو تفنيهـــا أو تهلك من ظلم فيها ، أما الفعل مكا مكوا ومكاء بمعنى صفر بفيه أو هميك بأصابعه ونفـــخ فيها ، والمكا بالضم والتشديد والمـد طائر والجمع المكاكى وبالتخفيف بمعنى صفر وبابه عـــدا (١) والياء المضافـة فى آخرها تفيد النسبة وهى الفترة المكية فى عهد الدعوة .

وفى الاصطلاح :

(فان مكـة هى بيت الله الحرام أما اشتقاقها ففيه أقوال : قال ابو بكر بن الانبارى : سميت مكـة لانها تمك الجبارين أى تذهب نخوتهم ، ويقال انما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصا شديدا ، وقال أبو القاسم : انما سميت مكة لان العـــرب فى الجاهلية كانت تقول لايتم حجنا حتى نأتى المكان حول الكعبة وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا طافوا بها ، والمكا بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض ، والمكا بتخفيف الكاف والمد الصفير فكأنهم كانوا يحكون صوت المكا ، ولو كان الصفير هو الغرض لم يكن مخففا ، وقال قوم سميت مكـــة لانها بين جبلين مرتفعين عليها ، وهى فى هبطة بمنزلة المكوك ، والمكوك عربى أو معرب قـــد تكلمت به العرب ) (٣) .

---

(١) ــ الرازى : مختار الصحاح ص ٦٣١ ، ابن منظور : لسان العرب الجزء العاشـــــر ص ٤٩٠ ــ ٤٩١ .

(٢) ــ سورة الانفال آية ٣٥ .

(٣) ــ ياقوت الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان الجزء الخامس ص ١٧٨ وما بعدها .

ويتضح مما سبق أن المعنى اللغوى والاصطلاحى بينهما اتفاق للاسباب التى عللت بها تسمية مكة اذا اعتبرنا أن مكة مأخوذة من ذلك الفعل الذى فسرت به ، ولكن اذا اعتبرنا أن مكة اسم البلد الحرام فهو يعتبر علما من أعلام البلدان التى سميت به وكفى ، وقيل أن المكى بالنسبة للسور وآيات القرآن له ثلاثة اصطلاحات ، فما نزل قبل الهجرة ، أو نزل بمكة ولو بعد الهجرة أو ماكان فيه خطابا لاهل مكة فيمكن أن نطلق عليه بأنه مكى ، وهناك من ذهب الى أن الوحدة الموضوعية فى القرآن لها أثر قوى فى الحاق السور والايات فى مكانها المناسب ووضعها الطبيعى (١) المراد به فى نظرنا :ـ

أن المكى تلك الحقبة الفريدة فى تاريخ الدعوة الاولى التى قامت على أسس سليمة صحيحة منطلقة من مفاهيم اسلامية صحيحة حسب مفهومها من الايات القرآنية التى توجهها وشرح الرسول الكريم لها مستهدية بهداه ومقتفية أثره على هدى ونور وبصيرة ، "فالشخص المؤمن تعرض عليه مشاهد النعيم والعذاب معا على سبيل الترغيب والترهيب ليتطلع الى نعيم الجنة ويسعى اليها سعيها ، ويفزع من صور العذاب فيخاف أن يقع فيها ويبتعد جهده عن كل عمل يعرضه للوقوع فيها (٢)

" وقد كان القرآن المكى يستلفت أنظار الناس الى جمال هذا الكون وبديع صنعته ، ويسترسل فى سوق الايات المتتالية حتى يأخذ على النفس كل طريق فلا تجد سبيلا من الاذعان والايمان عن قناعة حقة وأن هذا الكون لم يخلق عبثا ولم يترك سدى " (٣) .

---

(١) ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ص ١٢ ، مناع القطان مباحث فى علوم القرآن ص ٦١ وما بعدها . محمد قطب : دراسات قرآنية ص ١٨ وما بعدها .

(٢) ـ محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٧٧ .

(٣) : الدكتور عبد الله شحاته : تفسير الايات الكونية ص ٢٣ .

# الفصل الاول

## البناء الادراكي

تمهيد :-

لقد زود الله سبحانه وتعالى الانسان بمدركات يستطيع من خلالها أن يعى ويفهم ويسمع ويرى كل مايدور حوله من أشياء ولكن تختلف الاشياء بعضها عن بعض فى كيفية ادراكها لان منها ماهو مادى ومنها ماهو معنوى ، فالمادى هو ماكان محسوسا وملموسا ومشاهدا لكل فرد أما المعنوى فهو كالعلاقات الاجتماعية بين الافراد وكالقيم والاتجاهات السائدة بين أفراد المجتمع

اذا نستطيع أن نقول ماهى الخصائص والمميزات التى تجعل الانسان يدرك ويزداد ادراكا ومعرفة للاشياء بينما الجمادات والحيوانات لاتزداد شيئا من ذلك .

اذا كنت قد قرأت القرآن الكريم وتصفحت آياته البينات فلابد أن تجد الجواب فى قوله تعالى " والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون "(١) فالعلوم والمعارف اذا تأتينا عن طريق هذه الاجهزة التى منحنا الله اياها وهى السمع والبصر والعقل والفؤاد . ولذلك فان الحقائق الموجودة فى هذا الكون الفسيح الذى خلقه الله لعباده ، ليفهم منها الانسان معانى معينة أو دلالات أى أنه يدركها " فالادراك هو عملية اعطاء معنى أو دلالة للاحساسات التى تنشأ عن استقبال الانسان لمثيرات معينة ، فاعطاء المعنى للاحساسات هو لب عملية الادراك ولا تتم هذه العملية دون تحديد دلالة للشىء المدرك "(٢)

ويجدر الاشارة بنا فى هذا الفصل خاصة الى أننى قد اطلعت على المذكرة التى أملاها الدكتور عبد الله الشاذلى على طلابه للسنة الاولى لمادة مناهج الدعوة بكلية الدعوة والاعلام للدراسات العليا بالرياض وقد استفدت منها استفادة جيدة حيث فتحت امامى الباب ومهدت الطريق ، وقد أبرزت لى معانى جميلة فتحدثت عن عمل كل ادراك وتقسيماته وفائدته ومدى الاستفادة منه ، وهذا الفصل مدين بمعظم أفكاره الى المذكرة المشار اليها .

---

(١) ـ سورة النحل آية ٧٨ .

(٢) ـ الدكتور عبد السلام عبد الغفار : مقدمة فى علم النفس العام ص ٢١٧ ، الدكتور أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

## أهمية الادراك الانسانـــــــى

قبل أن نبدأ فى ايراد النصوص الواردة والخاصة بكل ادراك انسانى يجدر بنا أن نشير بايجاز الى أن الاسلام قد نظر الى جوانب ثلاثة فى الانسان ، ذاته وانسانيته التى يدرك بها حيث راعى فيها مايكملها ويصفيها ويزكيها ويعلو بها ويحقق مرادها حسب المنهج الالهى ، كما أن النصوص القرآنية أكدت على الاهتمام بالقلب وأن القلب السليم المتصل بربه هو الذى يكون صاحبه ناجيـــا عند الله تعالى كما يقول عز وجل ( يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)(١) . كما أن قيمة العقل ومكانته لاتخفى على كل عاقل فبقدر ما أعطى الانسان من عقل تكون الاعمـال والطاعات والقرب من الله سبحانه ، ولذا فقد نعى الله على الذين لم يستفيدوا من عقولهم فأوردهم النـــار فى قوله تعالى ( وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير ) (٢) .

وهكذا نرى من خلال النصوص التى ستساق أن الاسلام اهتم بالتكوين الادراكى للانســـان كما اهتم بالجوانب الذهنية والوجدانية والتصفية القلبية مراعيا فى ذلك أن هذه هى الركائـــز والمكونات النفسية التى يتكون منها الجانب الداخلى فى الانسان . كما يتكون منها الجانب الخارجى وهو الحواس والمتعلقـة بالادراك ) (٣) .

ويمكننا بهذا تقسيم الادراك الى ثلاثة أقسام هى :ـ

١ ـ الحس ٢ ـ العقـــل ٣ ـ القلب

### الادراك الحسى :ـ

قبل التحدث عن الاحساس والحس فيما ترمى اليه الايات القرآنية من معنى نتعرف على معناه عند العلماء المختصين به ( فقد جاء أن الاحساس مادة الادراك الحسى وأساسه وهو ظاهـــرة فسيولوجية سكلوجية مترتبة على اثارة احدى الحواس ويصاحبها الوجدان أحيانا كالاحساس بالالـــم أو التفكير أحيانا أخـــرى كالاحساسات المرئية ، وقيل أن الحس سكلوجيا معرفة مباشرة للاشياء عن طريق الحواس قال الجرجانى : الادراك هو حصول الصورة عند النفس الناطقة ، والادراك الذهنى : معرفة الكل من حيث أنه متميز عن الجزئيات التى يصدق عليها ويقابل الادراك الحسى ) (٤) .

---

(١) ـ سورة الشعراء آية ٨٩ .
(٢) ـ سورة الملك آية ١٠ .
(٣) ـ الدكتور : عبد الله الشاذلى : مذكرة مادة مناهج الدعوة للدراسات العليا ، كلية الدعوة والاعلام .
(٤) ـ مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفى من ص ٤ ـــ ص ٦ .

" والاحساس هو قوة أودعها الله سبحانه وتعالى فى النفس تجد بها لذة فى أشياء احبها لتلك الاشياء وميلها لها وألما فى اشياء اخرى لبغضها وكراهتها لها ، وهو مشترك بين الانسان وسائر أنواع الحيوان ويكون مصحوبا غالبا بالعلم النفسى أعنى الشعور والدراية وادراك نوع اللذة والالم وادراك الشىء الذى تكون به اللذة والشىء الذى به يكون الالم " (١) .

ويتضح لنا أن الادراك الحسى هو معرفة الانسان لما حوله وعلمه به وادراك الاشياء بما زوده الله به من حواس . " فللانسان ضربان من الادراك : ضرب حسى تؤديه الحواس بمعونة العقل ، ويتم لنا به ادراك الكائنات الحية المحيطة بنا فى السموات الارض ويسمى " الادراك الحسى " . والضرب الاخر تؤدية خاصية عقلية تسمى " الفكرة " هى التى تدرك دلالة الكائنات على الله " (٢) .

" ويلاحظ أن الاسلام فى تاريخ البشرية أتى على أساس طغيان موجة الالحاد وانكار ماعدا الحس والمعرفة ، ويقص القرآن موقف الملحدين أرباب الحس من رسالة الاسلام كمعرفة دينية مصدرها الوحى " (٣) . فيقول تعالى : ( أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين " (٤) .

معرفة الحواس دليل على خالقها :ـ

---

ينبهنا القرآن الكريم الى نعم الله الجمة على الانسان ، وبمعرفة هذه النعم والاهتداء اليها يتبين له أنه لاخالق ولا رازق لها سوى الله سبحانه وتعالى ، وهذه الحواس تعتبر من جملة تلك النعم الكثيرة التى لاتحصى فبجانب الرزق الحسى الذى منحه الله اياه من المطاعم والمشارب يذكره بما أعطاه من السمع والبصر والافئدة نعمة منه وفضلا سواء بسواء (٥) . ويقول تعالى : " قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ومن يخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلاتتقون "(٦) .

---

(١) ـ محمد الفقى : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) ـ البهى الخولى : تذكرة الدعاة ص ٢٠ .

(٣) ـ الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٣٠٣ .

(٤) ـ سورة المؤمنون آية ٣٥ ـ ٣٨ .

(٥) ـ عبد الشاذلى : المذكرة فى مادة مناهج الدعوة للدراسات العليا بكلية الدعوة والاعلام

(٦) ـ سورة يس آية ٣١ .

كما أن المولى سبحانه يلفت نظر عباده في آيات أخرى الى معرفة خالق هذه الحواس وشكره عليها يقول تعالى : ( ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون ) (١) . ويقول تعالى : ( قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون ) (٢) . ويقول تعالى : ( ولقد مكناه فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون ) (٣) . ويقول تعالى : ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ) (٤) . ويقول تعالى ( وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون ) (٥) .

"نلمح خلال هذه الايات المكية وسياقها أن الله عز وجل يذكر عباده بنعمه ودلائل وحدانيته وأن ليس في الوجود خالق غيره ، لهذه الحواس من سمع وبصر وأفئدة " (٦) . بل ليقطع أي توهم لمن تسول له نفسه ممن يرى أن الطبيعة هي التي تخلق نفسها وأنها وجدت بالمصادفة وهذا زعم باطل لايستند الى دليل ، ولهذا فقد تحدى المولى جلت قدرته مهددا ومتوعدا الذين ينسبون الخلق لغير الخالق سبحانه وهو الله الواحد الاحد بقوله تعالى : ( قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون "(٧)

يقول ابن كثير : ( أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم اذا سلبه الله منكم لايقدر على ذلك أحد سواه ) (٨) .

فتبين من هذا أن الله سبحانه هو الذي منح الانسان السمع والبصر والقلب وهو القادر على سلبها في أي وقت . ويقول الدكتور محمد محمود حجازي : " ولقد خص السمع والبصر لانهما طريق العلم والادراك وفي جهاز السمع والبصر الاعاجيب " (٩) . " وفي ظلال هذا المشهد تصور يفرد الله سبحانه بالالوهية ، وخصائصها ، ويرد الى مشيئة الله وقدره الامر كله (١٠) .

---

(١) ــ سورة السجدة آية ٩ (٢) ــ سورة الملك آية ٢٣ .

(٣) ــ سورة الاحقاف آية ٢٦ (٤) ــ سورة النحل آية ٧٨ .

(٥) ــ سورة المؤمنون آية ٧٧

(٦) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم المجلد الثالث ص ٢٥٢ . محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير المجلد الثاني ص ٣١٢ .

(٧) ــ سورة الانعام آية ٤٦ .

(٨) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم المجلد الثاني صفحة ١٣٣ .

(٩) ــ محمد محمود حجازي : التفسير الواضح الجزء الحادي عشر ص ٥٠ .

(١٠) ــ سيد قطب : في ظلال القرآن المجلد الثامن ص ١٠٩٣ .

## موقف القرآن من الحـــــواس

من المعلوم أن الانسان قد زوده الله بخمس أدوات حسية هي : السمع والبصر والشـــم واللمس والذوق ، وعن طريق هذه الحواس تنتقل صورة الواقع الى أذهاننا فتكون لدينا علما ومعرفة ندرك بها الاشياء حولنا ، وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأدلته وقدرته ، فالانســـان يحفظ كثيرا من المعارف والصنائع فتسجل كلها في هذا الجزء الصغير من غير أن يختلط بعـــض هذه الصور ببعض ، بل يقبل ماتؤديه اليها الحواس فتجتمع فيها ثم تعيد كل حاسة منها فائـــدة الحاسة الاخرى .

ولكننا اذا تتبعنا آيات القرآن الكريم وجدناه قد أكثر الحديث عن السمع والبصر بينما آثـــار اشارات موجزة عن الشم واللمس والذوق ، وفي هذا حكمة وسر وارتباط وعلاقة تتميز به عن الباقـــي لانها سبب لحصول الانسان على معارف راقية تخصه وتميزه عن الاخرين من خلقـــه ، فالسمـــع والبصر تتعلق بالامور العليا من المعارف ، والباقية تتعلق بالامور الدنيا من مشمومات أو ملموســـات أو مطعومات وفائدتها تكون وقتية ، ليست كالاخرى التي تدوم بل ربما تصل نفعها في الدنيـــا والاخرة .

ولهذا يقرن سبحانه بينهما كثيرا في كتابه كقوله تعالى : ( ولاتقف مالیس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) (١) . وقوله تعالى : ( وجعلنا لهم سمعا وأبصـــارا وأفئدة ) (٢) . وقوله تعالى : ( لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها) (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن من فضل الله على خلقه وعنايته بهم أن جعل كل حاسة تقوم محـــل الاخرى وتؤدي غرضها باتقان وحكمه ولكن مع ذلك هناك تفاضل في أداء عمل كل واحد منها وحصول المنفعة التي تتعلق بها (٤) .

ولاشك أن الفرد المسلم خاصة يدرك بثاقب فكره ، أن هذه المدركات الحسية التي زود بهـــا ليحسن استعمالها ، فمتى تكونت لديه حقيقة وجودها أدرك أن لله سبحانه في خلقه لهذه الحواس حكمة وارادة يدركها صاحب الطبع السليم ويجني ثمارها في حياته الخاصة والعامة ، فعندمـــا يصغي باذنه ويبصر بعينه وينشد الوصول الى الحقيقة التي يراها أمامه صارفا عن نفسه أي تأثـــير يأتي عليه متجردا عن أي هوى أو غرض فلا ريب أنه اذا سلك هذا المسلك يصل الى الغايـــة التي يرجوها من وراء ادراكه وتوجهه الى الشيء المدرك .

---

(١) ـ سورة الاسراء آية ٣٦ . (٢) سورة الاحقاب آيـــة ٢٦ .

(٣) ـ سورة الاعراف ١٧٩ .

(٤) ـ ابن القيم الجوزية : التبيان في أقسام القرآن ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ . الدكتور عبد الله الشاذلي : المذكرة في مادة مناهج الدعوة .

ان هذه المعارف ليست ثانوية في حياة الانسان ولا في توجيهاته ، بل هي زاد لابد منه لتصحيح فكره وضبط صلته بالعالم ، وارسال النصائح محفوفة بوعي دقيق وحسن بالغ وادراك للهدف الذي ننطلق اليه (١) .

---

(١) ـ محمد قطب : دراسات قرآنية ص ١٢١ ، الشيخ محمد الغزالي : مع الله ص ٢٢٣

## معنى العقـــل فى القـــرآن

لم يهتم القرآن الكريم مطلقا بالتعريفات التجريدية لاى قضية من القضايا التى تحدث عنهـــا فيما يتعلق بالانسان ، وانما اعتبر الانسان مدركا للعقل والقلب ومسلما بهما ، فدخل القرآن مباشرة الى عمل كل منهما والمطالب الرئيسية المنوطة بهما فى تزكية البشر والدوافع الايمانية التى تتكون عنـد الانسان منهما كثمرة بالتربية . ولم يكن العهد المكى يعنى بتعريف العقل وتقسيماته ، (١) . ولـم تعرف هذه التعريفات الا فى وقت متأخر بعد دخول الفلسفة ، لان مهمته فى تلك الفترة كانت تدور

---

(١) ـ جاء فى كتاب التعريفات : العقل مأخوذ من عقال البعير لانه يمنع ذوى العقول من الجهول عن سواء السبيل ، والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة . " التعريفات لعلى بن محمد بن شريف الجرجانى ص ١٥٧ ـ ١٥٨ " .
قال حجة الاسلام الغزالى : العقل له معنيان : أحدهما : أنه قد يطلق ويراد به العلـــم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب . الثانى : أنه قد يطلق ويراد بـه المدرك للعلوم فيكون هو القلب ، أعنى تلك اللطيفة . ( احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى ص ٣٤٦ الجزء الثامن ) .

وأعلم أنه بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وقد ينقسم الى قسمين: غريزى ، ومكتسب . فالغريزى هو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف لايجاوزه الـــى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان ، وبه يمتاز الانسان عن سائر الحيوان ، وأما العقل المكتســب فهو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة . ( منهاج اليقين شرح كتـــاب أدب الدنيا والدين لعلى بن حبيب البصرى الماوردى ص ١٠ ) .

وجاء فى كتاب الموسوعة ماملخصه الصحيح أن العقل لايمكن احاطته برسم واحد ، ولكـــن المختار أن العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان : ١ ـ ضرورى وهو الذى نعنا به أنـــه بعض العلوم الضرورية ، وهذا العقل مايتعلق به التكليف ٢ ـ غريزة تقذف فى القلب وهـــذا النوع ينمو بنمو الانسان وبه يقع الاختلاف بين الناس فهذا يسمى بليدا وذاك ذكيـــا .
(٢) ـ ٣ ـ مابه ينظر صاحبه فى عواقب الامور ولا يغتر بلذة عاجلة تعقبها ندامـة . ٤ ـ مايستفـاد من التجارب فى حياة الانسان وهذا النوع يسمى عقلا بالاكتساب . ( شيخ الاسلام ابن تيميـــة الحرانى ، المسودة فى اصول الفقه ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩ . )

حول تربية الفرد المسلم وتوجيهه الى الطريق المستقيم ، ولقد دعا القرآن الى اعمال العقل على نطاق واسع شامل فى جملة مهام أولها التعرف على الله بتدبر آياته فى الكون والتعرف على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بدراسة أحواله قال الله تعالى : ( ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون ) (١) . وقال تعالى : ( قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد )(٢) . فى هاتين الآيتين الكريمتين دعوة الى اعمال العقل واحترامه والتفكر به لادراك حقائق الوجود الدالة على الالوهية الواحدة فيما خلق الله فى الكون وفيما أودع الله الانسان من صفاته واستعداداته ، وفيما وهبه من نعم وآلاء مما لا يقدر عليه أحد الا الله وفيهما دعوة ايضا الى أن يدركوا بأن محمدا ليس به جنون لما عرفوا عنه من كمال العقل ورزانته ولن يحصل لهم هذا الا بالعقل والتدبر الذى يوصل الى اليقين والمعرفة الحقة .

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن العقل لا يذكره الا فى مقام التعظيم والتنبيه على وجوب العمل به والرجوع اليه ، ولا تأتى الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الاية بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى كل محور من محاور الامر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام على اهمال عقله وتبون الحجر عليه . ولا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ، ولا فى العقل المدرك ، ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب فى الايات القرآنية كل مايتسع له الذهن الانسانى من خاصية أو وظيفة . قال تعالى : ( وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون(٣) وقوله تعالى : ( ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مامللكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون ) (٤) . وقوله تعالى : ( وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير ) (٥) . وقوله تعالى : ( ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ) (٦) . وقوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم والدار الاخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ) (٧) .

---

(١) ـ سورة النحل آية ٦٧ ٢ ـ سورة سبأ آية ٤٦

(٣) ـ سورة المؤمنون آية ٨٠ ٤ ـ سورة الروم آية ٢٨ .

(٥) ـ سورة الملك آية ١٠ ٦ ـ سورة الانعام آية ١٥١

(٧) ـ سورة يوسف آية ١٠٩

وقوله تعالى : ( ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون ) (١) ٠

تشير هذه الايات السابقة الى أن العقل هو خير مرجع للهداية فى ضمير الانسان فالخطاب الموجه الى العقل الواعى يضارعه خطاب مثله الى العقل المدرك أو العقل الذى يقوم به الفهم والوعى ليوقظ القلب وينبه العقل ويفتح العين ثم يترك للفكر بعد ذلك أن يصل الى مداه فيحقق المكانة العالية للفرد فى تربيته التى تقوم على النظر والتفكير فى آلاء الله وخلقه التى لم تمتد اليها يد البشر كالسموات والارض والبحار ٠

وبهذا يكون للدعوة أثر كبير فى فهم الاسلام حين اطلق عقل الانسان وجعل اليه فى أن يعقل دينه وصولا للحق ، وأن ينظر فى كتاب الله وسنة رسوله نظرا متدبرا فاحصا حتى يصل الى الله من أقرب طريق ، ومن هنا كانت رسالة الدعوة وما تحمل من هدى ونور فى تلك الفترة المكية التى قامت بعرض قضايا الدين على العقل ، ثم رد العقل اليها لما وجدت أرضية ثابتة راسخة من الادراك السليم والواعى المستنير ، فآمن بها من هداه الله للخير وسلك به مسالك الفلاح فى كل عمل يقوم به ، وتلك هى المهمة التى أراد الله من العقل عمله فى تربية الفرد وتكوينه وهدايته فى قبول الحق والاذعان له ، وهذا هو المفهوم السائد لمعنى العقل فى تلك الفترة (٢) ٠

---

(١) ــ سورة الروم آية ٢٤ ٠

(٢) ــ عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية من ص ٧ ــ ١١ ٠
سيد قطب : فى ظلال القرآن المجلد الرابع ص ٢١٨٠ ٠ عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ١٢٧ ــ ١٣٦ ٠

الادراك العقلي : ـ

ونقصد به تلك العمليات والادراكات العقلية التي تأتينا من طريقه ندرك بها الاشياء ونميز بها وهي نعمة وشرف قد خص الله به عباده ، وهو منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤيا من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة ، فالعقل انما يعتمد على الحواس الخمس في كل ماتقدمه اليه الحواس من محسوساتها فقد يستخلص منها نتائج دقيقة يستفيد منها ويقوم بناؤه عليها وحيث تتعطل هذه الحواس يتعطل العقل .

فوظيفة العقل تنحصر في أنه يستخلص من هذه المعلومات التي تقدمها الحواس ويتوصل من هذه المقدمات الى نتائج كبيرة وكثيرة من نتائج العقل على مشاهدات الحس كما يقوم العقل بوضع مقدمات بديهية تستخدم في الاستدلال العقلي ، وهي المقدمات الضرورية المستخدمة في الأدلة العقلية التجريدية ولقد استثار القرآن طبيعة الانسان الفكرية حسب قدرتها وسلك بها في مخاطباته أساليب شتى ، وتفنن في أسلوب الهداية وطرق الاقناع لاختلاف مشارب الناس وتباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم حتى أصبح ذلك نشاطاً من أنشطة العقل في القياس والاستدلال على الاشياء قبل الوصول الى الحقيقة فمنها قياس التمثيل . قال تعالى : ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ) (١) .

ومنها قياس الخلف في قوله تعالى : ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ) (٢) . وهو في حد ذاته برهان واضح ودليل قاطع على وحدانية الله سبحانه ، أن لو كان في الوجود آلهة غير الله لفسد نظام الكون كله لما يحدث بين الالهة من الاختلاف والتنازع في الخلق والتدبير وقصد المبالغة ، والواقع المشاهد غير ذلك .

وبهذه الكيفية دعا القرآن العقل واستحثه على أن يقيم أدلته العقلية وينتقل بها من مقدمات يصل بعدها الى النتيجة المطلوبة على حسب ماتعلمه سيدنا ابراهيم عليه السلام ، قال تعالى : ( وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ) (٣) .

---

(١) ـ سورة يس آية ٧٨ ـ ٨١ .

(٢) ـ سورة الانبياء آية ٢٢ ـ ٢٩ (٣) ـ سورة الانعام آية ٧٥ ـ ٧٩ .

فالطريق الى معرفة الله فى الاسلام هو العقل ، وكلما ارتقى هذا العقل واتسعت آفاق نظراته كلما وضحت للانسان معالم الطريق وتكشفت له الحقيقة الكبرى فامتلأ بها صدره يقينا واطمئنانا .

ولهذا ـ رفع الاسلام من شأن العقل ولفت ذوى العقول الى عقولهم ودعاهم الى الامساك بها على الصحة والسلامة والى سوقها الى موارد العلم والمعرفة وحراستها من الآفات التى تعرض لها ، فتذهب بها جملة أو تعطلها لحظة من لحظات الحياة . (١)

التربية العقلية : ـ

ويقصد بها تكوين فكر صحيح سليم بكل ماهو نافع ومفيد من العلوم والمعارف التى تجعل العقل ناضجا ومتفتحا ومدركا لما يفتح الله عليه من هذا الكون المفتوح وكتابه المقروء .

ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بالمعرفة المنشئة للعمل ووفق المشكلات التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية وتطور لهم ما هم فيه من الامور وترسم لهم منهج العمل فى الموقف وتصحح لهم الشعور والسلوك وتربطهم فى هذا كله بالله ربهم وتعرفه لهم بصفاته الموثرة فى الكون فيحسبون حينئذ أنهم يعيشون فى الملا الاعلى تحت عين الله فى رحاب القدرة ، ومن ثم يتكيفون فى واقع حياتهم وفى ذلك المنهج الالهى القويم .

ومن هنا كان منهج القرآن الفكرى فى التربية العقلية مبدأ تحول الفكر الانسانى من التفكير المجرد الى التفكير الواقعى المرتبط بالحياة والاحياء ـ فحقق به الانسان رسالة استخلافه فى الارض ودفع بالانسانية قدما نحو آفاق العلم والاكتشاف والتعمير .

ومن المعلوم تاريخيا أن أول آية نزلت على قلب الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات : قال الله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم﴾ (٢) .

---

(١) ـ راجع أبا حامد الغزالى ـ احياء علوم الدين ص ١٤٠ الجزء الاول ، وأبا الحسن على الحسنى روائع أدب الدعوة فى القرآن والسيرة ص ٩٧ ـ ٩٨ ، وصلاح عبد القادر البكرى ـ القرآن وبناء الانسان ص ٤٧ ، عبد الكريم الخطيب ـ الدين ضرورة حياة الانسان ص ٢٠٨ .

(٢) ـ سورة العلق آية ١ ـ ٥ .

ففى هذه الايات دلالة واضحة على تمجيد العلم والاهتمام به وبالقراءة والكتابة اللذين هما وسيلتا الحصول عليه وفيهما تقدير للعقل الذى يفكر ورفع لقيمته وأهميته ٠

والتربية العقلية فى حد ذاتها توجيه وتثقيف وتعليم ٠ وغذاء العقل هو العلم والمعرفة يحصله الانسان بنظره الخاص وبتجاربه فى الحياة على أساس فكرى سليم ٠

ولذا ــ فان الرسول الكريم كان حريصا كل الحرص على تربية الجماعة المسلمة فى بداية عهدها تربية قرآنية ، يغرس فى قلوبها وعقولها المعرفة الحق والعلم فيستنير عقله ويزداد فهمه لنفسه أولا وللاشياء والحوادث التى تحيط به ثانيا ، وبذلك يرتقى فى مجال تربية نفسه وتهذيبها وبلوغ مرتبة أعلى فى طاعة الله واكتساب رضاه (١) ٠

---

(١) ــ سيد قطب : معالم فى الطريق ص ١٥ ــ ١٦ ، محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ٦٣ ٠

## دعوة القرآن للعقل

لقد احترم الاسلام النفوس والعقول وكفل لها حريتها فأباح التفكر فى ملكوت السموات والارض ، بل حث على ذلك وجعل النظر الصحيح أساس الاعتقاد الصحيح ، والقرآن الكريم فى أكثر آياته يناشد العقل ويهيب به الى التفكر والتأمل ويحفزه الى البحث ليستدل ببديع الصنع على عظمة الصانع جل وعلا ، وليتعلم ويبتكر وينتفع بما خلق الله فى السموات والارض وما أودع الكون من أسرار ومنافع ، وهذه المناشدة والدعوة الى العقل تتعدد وتتنوع على حسب سياق الايات ومقتضى الحال المراد منه ، فهو التفكر والنظر والتبصر والتدبر والاعتبار والتذكر والعلم وحتى يتضح هذا المعنى نأتى ببعض الآيات القرآنية التى تحض الانسان وتدعوه عن طريق هذا العقل الذى يفكر به ويوازن بين الامور .

### التفكر :-

قال الله تعالى : ( قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون ) (١) . وقال تعالى : ( ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون )(٢) وقال تعالى : ( أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق )(٣) .

فى هذه الآيات دعوة الى التفكر فى هذا الكون الفسيح لادراك حكمة التدبير فيها وربطها بالظواهر الكونية الاخرى ودلالتها على الخالق الواحد فى ذاته وارادته وتدبيره والتفكير الذى يحقق هذه الغاية هو المطلوب بل يعد قربة وطاعة وعبادة لله تعالى . قال عمر بن عبد العزيز: " الكلام فى ذكر الله عز وجل حسنة ، والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة " (٤) .

### النظر :-

قال الله تعالى : ( أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون )(٥) . وقال الله تعالى : ( أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء )(٦) .

وقال تعالى : ( قل أنظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون )(٧)

تبين هذه الايات المكية بأن النظر الى ماخلق الله من شىء يدعو القلب ويحير الفكر ويلجىء العقل الى البحث عن مصدر هذا كله ، ولفت القرآن للنظر الى مافى السموات والارض وسيلة يمد القلب والعقل بزاد من المشاعر والتأملات لعله ينبض ويتحرك ويتلقى ويستجيب لاوامر الله الذى أوجد هذا الخلق على هذا النظام المقصود المشهود "(٨) .

---

(١) - سورة الانعام آية ٥٠ . ٢ - سورة النحل آية ١١ . ٣ - سورة الروم آية ٨ .
(٤) - اسماعيل بن كثير القرشى : تفسير القرآن العظيم ص ٤٣٨ المجلد الاول .
(٥) - سورة الانعام آية ٦٥ ٦ - سورة الاعراف آية ١٨٥ .
(٧) - سورة يونس آية ١٠١ .
(٨) - سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ١٤٠٥ المجلد الثالث .

التبصـــــر : ــ

قال الله تعالى :( من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ) (١) . وقال اللـــه تعالى : ( أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهـــم أفلا يبصرون )(٢) .

وقال الله تعالى : ( هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون )(٣) . في هذه الآيات يطوف القرآن بالعقل البشري ويبصره بما أنعم الله عليه من خيرات تجعلـــــه يدركها ويحس بها فيحكم عقله بعد ذلك ويؤدي لخالقها مايجب له ليكون من المبصرين حقا .

التدبـــــر : ــ

قال الله تعالى : ( أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين "(٤) . وقـــال تعالى : "كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب )(٥) .

يخاطب الله في هاتين الآيتين المكيتين ــ أن الانسان العاقل هو الذي يتدبر فيما يلقى عليه من القول الذي أنزله الله في القرآن .

قال ابن كثير "" لما كان القرآن يرشد الى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحـــة قال تعالى : ( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب )(٦) . أي ذووالعقول وهي الالباب جمع لب وهو العقـــل . قال الحسن البصري: ( والله ماتدبره بحفظ حروفـــه واضاعة حدوده حتى أن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله مايرى له القرآن في خلق ولا عمـــل (٧)

الاعتبـــار : ــ

قال الله تعالى : ( لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب " (٨) . وقال تعالى : ( وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه )(٩) .

يبين الله في هاتين الايتين الكريمتين أن العبرة والعظة فيما أوجده الله من أســـــرار في مخلوقاته الكونية هي لمن يعقلها ويدرك هذه الخصائص ويقدرها ويستفيد منها ، ولقد كـــان في قصة يوسف واخوته عبرة وعظة لاهل العقول يتعظون بها .(١٠) .

---

(١) ــ سورة القصص آية ٧٢ ٢ ــ سورة السجدة آيـــة ٢٧ .
(٣) ــ سورة الانبيـــاء آيـــة ٣ . ٤ ــ سورة المؤمنون آيـــة ٦٨ .
(٥) ــ سورة ص آيـــة ٢٩ . ٦ ــ سورة ص آيـــة ٢٩ .
(٧) ــ اسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن العظيم ص ٣٣ المجلد الرابـــع .
(٨) ــ سورة يوسف آيـــة ١١١ . ٩ ــ سورة النحـــل آيـــة ٦٦ .
(١٠) ــ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : مختصر تفسير الطبري ص ٤١٣ المجلد الاول ــ اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني وصالح أحمد رضـــا .

التذكـــــر : ـ

قال الله تعالى : ﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون﴾(١) . وقـــال تعالى : ﴿أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ماذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾(٣) .

يبين الله فى هذه الآيات الكريمة أن التذكر صفة ملازمة لمن لهم عقول وقلوب مدركـــــة تذكر بالحق فتتذكر وتنبه الى دلائلـــــه فتفكر .. ثم يقول ابن كثير فى معنى قوله ( انمـــــا يتذكر أولوا الالباب ) . أى انما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنـــا الله منهم "(٤) .

العلـــــــم : ـ

قال الله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحـــــر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون " (٥) .

وقال تعالى : ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(٦) .

وقال تعالى : " هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون " (٧) .

تدل هذه الايات دلالة واضحـــة على أن العلم الصحيح هو الذى يصل مابين آيات هـــــذا الكون ودلالتها على المبدع العظيم والصانع الحكيم ، وهذا نتيجـــة لثمرة العقل الهادى الموصـــل الى الحقائق الكونيـــــة لمن يعقل ذلك .

قال ابن كثير فى معنى " لقوم يعلمون " أى يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل "(٨) .

---

(١) ـ سورة الانعام آيـــة ١٢٦ (٢) ـ سورة الرعـــــد آيـــة ١٩

(٣) ـ سورة النحـــل آيـــة ١٣

(٤) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم المجلد الثانى ص ٥٠٩ .

(٥) ـ سورة الانعام آيـــة ٩٧ . (٦) ـ سورة الزمـــر آيـــة ٩ .

(٧) ـ سورة يونـــس آيـــة ٥ .

(٨) ـ ابن كثير تفسير القرآن العظيم المجلد الثانى ص ١٥٩ .

## دور العقل فى مواجهة الآفات العارضة للانسان

مما لاشك فيه أن العهد المكى قبل بعثة رسول الله وقيامه بالدعوة الى الله وتحكيم كتابه بين أهلها فانهم كانوا يعيشون فى جاهلية مظلمة قد تمكنت فيهم روا سبها التى توارثوها على مر القرون حتى نمت وترعرعت وصار لها أحفاد وذرية وهى آفات سيئة بغيضة ، استقرت فى عقولهم وساهمت فى عدم جدوى أعمال العقل والفكر بسبب العقيدة العبثية التى تولدت فيهم فجاءت العقيدة الصحيحة داعية العقل السليم للوقوف فى وجه هذه الآفات الضارة .

لقد جاء الذكر القرآنى ابتداء لينشىء المقررات الصحيحة التى يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر وأن تقوم عليها حياتهم وأقل مايستحق هذا التفضل من العلى الكريم وهذه الرعاية من الله ذى الجلال وهو الغنى عن العالمين أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل شىء دخيل ليقوم تصورهم الجديد نظيفا من كل رواسب الجاهليات قديمها وحديثها على السواء . مستمدا من تعاليم الله وحده لامن ظنون البشر التى لاتغنى من الحق شيئا .(١) .

والقرآن الكريم يحدد هذه الافات الكثيرة لنحذرها ونقتصر منها على مايلى :-

### آفة الغفلة :-

قال الله تعالى : ( ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما يكسبون " (٢) .

وقال تعالى : ( سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وأن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وأن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين " (٣) .

وقال تعالى : " لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " (٤) .

فى هذه الايات يبين المولى سبحانه أنه ينزع فهم القرآن ويصرف عن آياته كل من غفل عنها ولم يعمل بها حيث أن هذا الفهم لايكون الا بالعقل الذى يدرك به ويستعين عليه لمعرفة آيات الله الكونية .

والذين لايرون العلاقة الوثيقة بين تلك القيم الايمانية وحركة التاريخ الانسانى ، والذين يغفلون عن قدر الله الذى يجرى بعاقبة الذين يتنكرون لهذه القيم ... هؤلاء انما هم الغافلون الذين أعلن الله سبحانه عن مشيئته فى أمرهم بصرفهم عن رؤية آياته وتدبر سننه ، وقدر الله يترصدهم وهم غافلون .(٥) .

---

(١) ـ سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ص ٢٢ .
(٢) ـ سورة يونس آية ٧ (٣) ـ سورة الاعراف آية ١٤٧ .
(٤) ـ سورة الاعراف آية ١٧٩ .
(٥) ـ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ١٣٧٢ المجلد الثالث .

آفة اتباع الهوى : ــ

قال الله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾(٣) .

تشير هذه الايات بأن الانسان حين لا يهتدى بهدى الله ونوره مرجعه الى اتباع الهوى الذى لا يستند على عقل أو تفكير مما يكون سببا فى غوايته واضلاله وعدم وصوله الى الحق الذى يقوم على العلم والفهم الصحيح .

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد وتارة من نقل كاذب وتارة من حق ثابت خفى على الرجل فلم يظفر به وتارة من غرض فاسد وهوى متبع ، فهى من عمى فى البصيرة وفساد فى الارادة "(٤) .

ويقول سيد قطب رحمه الله ــ ( والهوى لا ضابط له ولا مقياس انما هو شهوة النفس المنقلبة ونزوتها المضطربة ورغباتها ومخاوفها وآمالها ومطامعها التى لا تستند الى حق ولا تقف عند حد ولا تزن بميزان وهو الضلال الذى لا يرجى معه هدى ، والشرود الذى لا ترجى معه أوبة "(٥) .

ويتولد من الهوى مرض أخطر منه ألا وهو الاعراض عن الحق .

قال تعالى : ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ... ﴾(٧) .

نتبين من هاتين الايتين أن موقف الاعراض هو العناد والمكابرة والاصرار عليهما وليس هو نقصان الدليل والحجة ، فقد أتتهم الايات وذكروا بها على وحدانية الله وصدق رسله الكرام ولكنهم أعرضوا عن الحق الذى يجب اتباعه لهوى فى أنفسهم يمنعهم أن يستسلموا للحق عندما يعرض عليهم وهؤلاء لا أحد أظلم منهم بعد اقامة الحجة عليهم ، لذلك كان همُّ كل المربين على مر العصور أن يحذروا أتباعهم الهوى وأخطاره (٨) .

---

(١) ــ سورة القصص آية ٥٠ . (٢) ــ سورة الروم آية ٢٩ . (٣) سورة الانعام آية ١١٩ .

(٤) ــ ابن قيم الجوزية : اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ١٦٦ .

(٥) ــ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٢٧٦٧ المجلد الخامس .

(٦) ــ سورة الانعام آية ٤ . (٧) سورة الكهف آية ٥٧ .

٨ ) ــ الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى تفسير القرآن العظيم ص ١٢٣ المجلد الثانى ــ سيد قطب ــ فى ظلال القرآن ص ١٩٣٦ المجلد الثانى .

آفة اتباع الآبـــاء : ــ

قال الله تعالى : ﴿ واذا فعلوا الفاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قـــل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا ... ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونـــا بسلطان مبين ﴾(٣) .

تشير هذه الآيات الى أن اتباع الاباء وتقليدهم والسير على نهجهم دليل واضح على عـــدم استخدام العقل الذى يفكرون به فيما كان عليه آباؤهم ، بل هو التقليد الجامد المتحجر الـــذى لا يقوم على علـــم ولا يعتمد على تفكير وهذا خلاف للمنهج الاسلامى القائم على تربية الفرد المسلم وتحرير عقله لينطلق ويتدبر فيأخذ ويستفيد ويخضع ماكان عليه الاباء للعلم والهدى والحق ويجرى عليه التصحيح دائما ، ويترك تلك الضلالات ويشنع عليها ، حتى يخرج مما وقع فيه غـــيره فيمـــا سبق من الزمان لجهلهم وجمودهم العقلى .(٤) .

فتنة الشيطان وعداوته وغوايتـــــه : ــ

قال الله تعالى : ﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهمـــا لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ان جعلنا الشياطين أوليـــاء للذين لا يؤمنون ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبـــه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان مـــن الغاوين ﴾(٧) .

يحذر الله سبحانه وتعالى فى هذه الايات بنى آدم جميعا أن يستسلموا للشيطان وما يدعوهم اليه فيما يتخذونه لانفسهم من مناهج فى الحياة يسيرون عليها فهذا كله فتنة واستدراك كمـــا فعل مع أبويهم من قبل اذ أخرجهما من الجنة ونزع عنهما لباسهما وهو عمل من أعمال الفتنـــة الشيطانية وتنفيذ لخطة عدوهم العنيدة فى اغواء آدم وبنيه ، وهذه المعركة لا تهدأ بين الانســـان وعدوه والعاقل البصير لا يركن الى عدوه ولا يتخذه ناصحا له ولا متبعا لخطاه ــ فالعدو لا يتبـــع خطى عدوه وهو يعقل لانه لا يدعو الى خير ولا ينتهى الى نجاة .(انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (٨) .

---

(١) ــ سورة الاعراف آية ٢٨ . (٢) ــ سورة لقمان آية ٢١ (٣) سورة ابراهيم آية ١٠ .

(٤) ــ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٢٧٩٣ المجلد الخامـــس . جودت سعيد : حـــتى يغيروا ما بأنفسهم ص ١٧٦ . (٥) سورة الاعراف آية ٢٧ (٦) سورة فاطر آية ٦ .

(٧) ــ سورة الاعراف آيـــة ١٧٥ (٨) ــ سورة فاطر آيـــة ٦ .

فهل من عاقل يستجيب لهذا الامر ويلقى بنفسه فى الهاوية ؟ وهذا مالا يتصور منه بل يسرع ليعرضها على ميزان الله الذى أقامه له ليتبين فلعلها خدعة من عدوه القديم ، وهذا هو الطريق الحق الذى قامت عليه الدعوة فى تربية الجيل وتنشئته فى ادراك ماحوله ، ودعا الرسول أتباعه أن يستفيدوا من عقولهم فيوجهونها لدفع الغواية والاغراء من عدوهم الشيطان وجنده المتربصين بهم فى كل حين، واجتناب دعوته الخاسرة (١) .

العلاقة بين العقل والشرع : ـ

عندما يريد الانسان أن يتخلص من أهواء نفسه ووساوسها ومغويات الشيطان المتربص ومملكاته فان عقله القاصر لن يستطيع أن يرد عنه مايأتيه من طريق هذين الامارين بالسوء اذا لم يعتصم بمعتصم قوى متين وهو الدين السماوى المنزل من عند الله تعالى وما يحمله هذا الدين من دعوة الى الايمان بالله وحده ، واللجوء اليه والاعتصام به والاستقامة على شريعته هو المعتصم الذى لامعتصم غيره (٢) .

( ولذا ـ فقد أبرز الراغب الاصفهانى نوع العلاقة بين العقل والشرع فى صورة عامة بقوله " أعلم أن العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لايتبين الا بالعقل ، فالعقل كالاساس والشرع كالبناء ولن يغنى الاساس مالم يكن بناء ، ولن يثبت بناء مالم يكن أساس ، وأيضا فالعقل كالبصر والشرع كالسراج ولن يغنى البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع مالم يكن بصر ، فالشرع مفيض من خارج ، والعقل سراج من داخل ، وهما متعاضدان ، ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر فى غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى : ( أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ) (٣) . ولكون العقل شرعا من داخل ـ قال فى وصف العقل ( فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ) (٤) .

فالعلاقة بين الشرع والعقل علاقة تكامل ولايمكن استغناء أحدهما عن الاخر فى أى مجال من مجالات التشريع فى الحياة" (٥) .

بل نرى المطابقة التامة بين مايقضى به العقل ومايدعو اليه الشرع داخلة وموجودة الامر الذى من شأنه أن يجعل العقل والشرع يلتقيان على سواء (٦) .

---

(١) ـ اسماعيل بن كثير القرشى : تفسير القرآن العظيم المجلد الثانى ص ٢٠٨ . سيد قطب : فى ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٢٧٩ ، والمجلد الخامس ص ٢٩٢٦ .

(٢) ـ أنظر عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ٧٢ .

(٣) ـ سورة يونس آية ٤٢ . (٤) ـ سورة الروم آية ٣٠ .

(٥) ـ أنظر الراغب الاصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص ٦٧ نقلا من تفسير الآيات الكونية ص ٢٦ .

(٦) ـ أنظر عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ١١٩ .

العلاقة بين العقل والقلب : ــ

لقد أسند القرآن الكريم فى كثير من آياته نوعا من التفقه والفهم والتعقل الى القلب كما فى قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾(١) .

هذه الاية الكريمة تقرر أن التفقه والفهم والاعتبار من شأن القلوب النيرة الواعية ، أما القلوب التى لا تتدبر وتتغلغل عما حولها من آيات فى الكون والحياة وتخالف استعداداتها الفطرية الهاوية فهى أضل من الانعام التى تتبع استعداداتها تهديها لانها لا عقل لها ولا تميز ، أما هؤلاء فقد أعطوا من العقول والافهام ما يميزون بين الصالح والضار ولكن لم ينتفعوا به (٢) .

فالعقل الذى يفكر بذاته ويعمل بطريقة ادراكية مودعة فيه ، يقوم باصدار أحكام مبنية على نتائج ، ولما يرضى عن هذه النتائج يرسل للقلب اشارات علمية يرتاح على أثرها القلب ويطمئن اليها ، وهنا يلتقى كل من العقل والقلب على يقين يودع فيهما نوعا من السكينة والاطمئنان ، والاستقرار ، ويحصل على غرار هذا التوافق والانسجام بينهما فيصبح الانسان فى داخله مرتاحا لما توصل اليه عقله فى التفكير الذى يقترب من مجال العقل الى شعاب النفس فيوقظ به القلب ويرهف الوجدان ويمتزج العواطف ويصل ما بين العقل والقلب ، واذا اتصل العقل بالقلب فهناك صمام الامان الذى يعصمه من الضلال والغرور .

ولما كانت هذه العملية على هذا النوع من الصعوبة وجدنا البعض يميل الى جعل القلب هو العقل فى النصوص القرآنية وليس هناك فوارق بينهما والحقيقة التى يصار اليها هى الفصل بينهما وأن كلا منهما له طبيعة عمل خاص به ، وله تعقله المتميز وفهمه الخاص ومع ذلك فان بينهما علاقة وثيقة وصلة قائمة تربط أحدهما بالاخر لان من فضل الله أن جعل للعقل حاسة باطنة من وظيفتها أنها تدرك دلالة الكائنات على الله وآثاره فى كل شىء ثم تنقل صورها فورا الى القلب ، فاذا انتقلت الى القلب واحتواها وتعلق بها ادركت مشاعر القلب وأشواقه ما يجب أن يهيمن عليه وجدانه وشعوره تجاه خالقه من الايمان والانقياد له فى جميع شؤون حياته الخاصة والعامة (٣) .

---

(١) ــ سورة الاعراف آية ١٧٩

(٢) ــ راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٢٦٨ ــ المجلد الثانى ، ابن جرير الطبرى : مختصر تفسير الطبرى ــ اختصار وتحقيق محمد على الصابونى والدكتور صالح أحمد رضا ص ٢٩٢ الجزء الثانى ، سيد قطب فى ظلال القرآن ص ١٤٠١ المجلد الثالث .

(٣) ــ راجع الدكتور عبد الله الشاذلى : المذكرة فى مادة مناهج الدعوة ــ صلاح عبد القادر بكر ــ القرآن وبناء الانسان ص ٤٨ ــ البهى الخولى ــ تذكرة الدعاة ــ ص ٢٢٨ وما بعدها ــ الشيخ أحمد المعروف بشاه ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى ــ حجة الله البالغة ــ ص ٩٠ الجزء الثانى .

## معنى القلب فى القـــرآن

ذكرت فيما سبق [١] أن العهد المكى لم يهتم بالتعريف لان مسألة من المسائل التى عالجها القرآن فى تلك الفترة ولم تكن تستهوى الصحابة ، تلك التعريفات والحدود التى حدثت بعـــد ذلك فى وقت متأخر ، ولذا فان معنى القلب [٢] نتعرف عليه من خلال وروده فى القرآن حسب سياق الايات ، فقد جاءت الايات القرآنية تؤكد أن الله قد أسند التفقه الى القلب .

قال الله تعالى : ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها)(٣) . وقال تعالى : ( وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ..)[٤] ، وقال تعالى : (انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ...)[٥] .

هذه الآيات الكريمة تقرر أن التفقه والفهـــم والاعتبار من شأن القلوب النيرة الواعية أمـــا القلوب التى لا تتدبر وتغفل عما حولها من آيات فى الكون والحياة وتخالف استعداداتها الفطريـــة الهاديـــة فهى أضل من الانعام التى تتبع استعدادات فطرية تهديها لانها لا عقل لها ولا تمييز أما هؤلاء فقد أعطوا من العقول والافهام ما يميزون بين الصالح والضار ولكن لم ينتفعوا بها ، بيـــد أن التفقه الذى أسنده القرآن للقلب من نوع خاص به يجعله يدرك حقائق الاشياء عن طريق ايقـــاظ القلب المستنير وتبصيره .

---

(١) ـ أنظر ص ١٨ .

(٢) ـ جاء فى كتاب احياء علوم الدين : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما : اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلـــك التجويف دم أسود ، هو منبع الروح ومعدنه . والثانى : هو لطيفة ربانية روحانية ، لهـــا بهذا القلب الجسمانى تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان .

فالقلب بالمعنى الاول هو كيفيته ومكان وجوده فى الجسم ـ أما بالمعنى الثانى فهـــو طريقة عمله وبه يكون الانسان مدركا للاشياء يتقرب الى الله بالطاعات وينتهى عما نهـــاه عن السيئات المقبوحـــة . وهو محل الايمان والعرفان فمتى جهله الانسان فقد جهل نفســـه وبالتالى جهل ربه ، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل ، ولذا فان أكثر الناس جاهلـــون بقلوبهم وأنفسهم عما يجب أن يعدوه له ليصلوا الى معرفة الخالق وما يجب له من صفـــات الكمال . فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . ( ابو حامـــد الغزالى ص ٣٤٣ طبعـــة ١٣٤٤ الجزء الثامن ) ( وأنظر ابن القيم الجوزية : التبيان فى أقسام القرآن ص ٢٦٢ ) .

(٣) ـ سورة الاعراف آيـــــة ١٧٩ .

(٤) ـ سورة الانعـــام آيـــة ٢٥ .

(٥) ـ سورة الكهف آيـــــة ٥٧ .

بما الله عز وجل على الانسان من حق الطاعة له والايمان به والرجوع اليه في كل لحظة لتفقه الذي هداه الى ذلك .

ولما كان القلب يعتبر مستقرا ومكانا لتلقي أنواع الهداية الالهية والنفحة الربانية ، فان الله سبحانه وتعالى قد منح عبده المؤمن من الايمان واليقين بما يزكيه وينميه ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه الى أن يترقى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح ، ولا سبيل له الى الوصول الى ذلك الا من نفحات القرآن وهدايته (١) .

" قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ﴾(٢) .
وقال تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾(٣) .

يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة للمؤمنين أن يذهب ما في القلوب من أمراض الشك والنفاق والشرك والزيغ والميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا الا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه الا بعدا وكفرا ، والآفة من الكافر لا من القرآن (٤) .

---

(١) ـ اسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ص٢٦٨ المجلد الثالث .
محمد جرير الطبري : مختصر تفسير الطبري ـ اختصار وتحقيق علي الصابوني والدكتور أحمد صالح ص٢١٢ المجلد الثاني .
سيد قطب : في ظلال القرآن ص١٤٠١ المجلد الثالث . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص٤٦ الجزء الاول .

(٢) ـ سورة يونس آية ٥٧ .
(٣) ـ سورة الاسراء آية ٨٢ .
(٤) ـ اسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن ص٥٩ المجلد الثالث .

وذلك لان منهج القرآن فى التربية يربط بين القلب ومشاهد الكون وينبه الحس الخامد والذهن البليد والقلب المغلق الى بدائع صنع الله المبثوثة حول الانسان (١) .

وبهذا كله يتبين ويتحقق للانسان مكانه وكينونته على هذه البسيطة ، ويكون خليفة الله فيها بحق اذا استطاع الجمع بين مطالب الروح والجسد الذى هو مكون منهما وهذا المعنى هو ما اشار اليه أبو الحسن على الحسنى الندوى بقوله :

" ان الانسان جسم وروح وهو قلب وعقل ومواطف وجوارح لايسعد ويفلح ولا يرقى رقيا متزنا عادلا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نموا متناسقا لائقا بها (٢) .

---

(١) ـ انظر عثمان جمعه ضميرية : التصور الاسلامى للكون والحياة والانسان ص ١٣٣ .

(٢) ـ انظر السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٨ .

## الادراك القلبـــــى

كل فرد منا يدرك أن الانسان الذى وجد لتعمير هذه الارض وخلافتها له جانبان فى هـــذه الحياة يحيى بهما ليحقق وجوده ويصل الى الحياة المرضية لمطالبه الحياتية ، فالجانب المـــادى يشمل البدن وماله من حقوق ورغبات يريد تحقيقها . والجانب الروحى وهو القلب ويؤدى بـــــه مايحتاجـــه هذا الجانب من زاد روحـــى يكتمل به الانسان ويرقى الى كمالـــــه .

ولا تتحقق انسانية الانسان الا بمجموع هذين الجانبين على انه يمكن القول بأن الجانـــب الروحى هو الذى يشكل الوجود الحقيقى فى الانسان وان كان لايوجد الا مودعا فى البـــــدن . والجانبان يتعاونان معا على تحقيق الغاية المنوطة بالانسان ، فمطالب البدن تحفظ له بقـــاؤه ووجوده ، وتحقيقها يقتضى منه سعيا ونشاطا مستمرا حتى يشبع الجوانب المادية فى كيانه الجسمانـــى بتحقيق تلك الرغبات والحصول عليها ولكن مع ذلك لايتم له تحقيق هذه الغاية الا باستخـــدام جوانب أخرى تكون معينة وهادية له من عقل وعاطفة ونفس ووجدان وشعور . فاشباع رغبـــات البـــدن متوقف على الجوانب الروحية فيه ، فالبدن وحده ، اذن غير قادر على اشباع ذاته وتلبية حاجياتـــه الا بمعاونة الجانب الروحى فيه والجوانب الروحية لاتقتصر مهمتها على مجرد الاشباع للبدن ،

لكنه يتجاوز الى مهمة أرقى والى غاية أسمى ونشاطه لايقف عند حدود البحث فى الارض أو فى الكون المحسوس ، بل يتجاوز الى تأمل أرقى حيث يصعد الانسان بقواه الروحية والقلبيـــــة من الكون المشاهد الى وجود أعلى ومعرفة أدق ، وهى معرفة الله سبحانه والخضوع لسلطانـــــه والانقياد لحكمتـــــه .

فاذا أتعب الرجل على نفسه فقام بحق بدنه بحق روحه فقد أنصف انسانيته وساير سنـــة اللـــه وعاش فى سلام الدنيا والاخـــــرة (١) .

ومن فضل الله على المسلمين أن جعلهم أمة وسطا تعطى الجسد حقه والروح حقهـــــا فأحل لنا الطيبات من الرزق لتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا وأمرنا بالشكر عليها ليزيدنا منهـــا فوائد روحية وعقليـــــة معـــــا (٢) .

---

(١) ــ راجع الدكتور عبد الله الشاذلى : مذكرة مادة مناهج الدعوة . أبو حامد الغزالـــى : احياء علوم الدين ص ١٣٤٢ الجزء الثامن ومذكرة الدعـــــاه للببى الخولى ص ٢١ .

(٢) ــ أنظر صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبنـــــاء الانسان ص ٤٥ .

## أحوال القلب ومسئوليته

عندما نفتح كتاب الله المقروء ونتصفح آياته الكريمة عن القلب وما جاء عن وصفه ومسمياته فنبصر عددا كبيرا من الايات التى تتحدث فى وصف هذا الجزء الهام فى الانسان وتحمله كثيرا من المسؤولية الداخلية والخارجية للاعمال الانسانية بل انها تجعل الاعمال القلبية أصلا وأساسا تبنى عليه الاعمال الخارجية .

فالايمان والنية والاخلاص والخشوع والعزم أعمال قلبية تعتبر فى حد ذاتها المعمول الصحيح لاى عمل يقوم به الانسان فاذا صحت صح معها ومتى فسدت فسد العمل ولم يقبل منه (١) .

ولما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك الى هذه الاحوال الثلاثة : ـ

فالقلب الصحيح ـ

هو القلب السليم الذى لاينجو يوم القيامة الا من اتى الله به كما قال تعالى ﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم﴾(٢) .

والقلب الثانى :

هو هذا القلب الميت الذى لاحياة به فهو لايعرف ربه ولا يعبده بامره ومايحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته ولذاته .

والقلب الثالث : ـ

قلب له حياة وبه علة ، فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما ، ففيه من محبة الله تعالى والايمان والاخلاص له ، ومنه من محبة الشهوات وايثارها والحرص على تحصيلها ، وانما يجيب أقربهما منه وأدناهما اليه جوارا وهو القلب المريض الذى يقول فيه تعالى : ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾(٣) .

---

(١) ـ راجع الدكتور عبد الله الشاذلى : مذكرة مادة مناهج الدعوة ، وابن القيم الجوزية التبيان فى اقسام القرآن ص ٢١٢ .

(٢) ـ سورة الشعراء آية ٨٨ ـ ٨٩ .

(٣) ـ سورة المدثر آية ٣١ .

أما القلب الميت وهو القاسي فيقول سبحانه وتعالى فيه : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾(١) . فالقلب الاول حي مخبت لين واع ، والثاني يابس ميت ، والثالث مريض فاما الى السلامة أدنى وأما الى العطب أدنى . وهكذا حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها ، قلب يفتن به كفرا وجحودا ، وقلب يزداد به ايمانا وتصديقا ، وقلب يتيقنه فتقوم عليه به الحجة ، وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري مايراد به (٢) .

فمن هذا يتضح أن للقلب أحوالا أربعة تتعلق وتتصل به اتصالا طبيعيا قبل العمل هي الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم .

فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ولا يؤاخذ عليه الانسان وكذلك الميل وهيجان الشهوة لا يدخلان تحت الاختيار .

أما الثالث الذي هو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا ، والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به .

أما الرابع وهو الهم فانه مؤاخذ به الا أنه ان لم يفعل ،نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة ، وان تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل اختياري من القلب (٣) .

هكذا فان القلب يعتبر مدار محل الاعمال وما يترتب عليها من ثواب أو عقاب عند الله تعالى فطوبى لمن صلح قلبه وفاز بالهداية الربانية .

---

(١) ـ سورة الزمر آية ٢٢ .

(٢) ـ انظر ابن قيم الجوزية ـ رسالة في إمراض القلوب ص ٧ ـ ١٥ .

(٣) ـ انظر محمد الفني : النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الاسلامية . ص ١١٥ .

## عيوب القلب وأمراضه

ان هذا القرآن الذى أولى القلب الذى يحيا به الانسان عناية فائقة فقد بصره بعيوبه وأمراضه التى تكون صارفة له عن قبول الحق ومانعة له من الهداية والفلاح وسوف استعرض بعضا من هذه الامراض التى تتعلق بالقلب من خلال آيات القرآن الكريم التى أرشدت الى ذلك وبينتها .

المرض :-

قال الله تعالى : ( وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر )(١) .

يبين الله فى هذه الاية الكريمة بأن للقلب مرضا يصيبه ويعتريه وذلك بسبب الطبيعة الفاسدة فى القلوب العليلة مما يجعله يحيد به عن الطريق الواضح المستقيم ، فينشأ عنه مرض وانحراف، يزداد خطورته وشدته كالطبع والختم والقسوة والاشمئزاز والران والانكار والاثم واللهو .

علة الطبع والختم :-

قال الله تعالى : ( ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين )(٢) .

وقال تعالى : ( أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون )(٣) .

وقال تعالى : ( أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون )(٤) .

وقال تعالى : ( قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم الله على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون )(٥) .

يبين الله فى هذه الايات المكية أن الطبع والختم على القلوب سببه الاعراض عن قبول الحق الذى يجب اتباعه وذلك حينما لاتعود هذه الاجهزة تؤدى وظائفها ولا تدرك أن الله قادر على أن يفعل بها ما يشاء وفى هذا بيان ان القلوب بها مرض فلا تستجيب للحق أو تذعن له فتستحق أن يطبع ويختم عليها .

---

(١) - سورة

(٢) - سورة يونس آية ٧٤ (٣) - سورة النحل آية ١٠٨ .

(٤) - سورة الجاثية آية ٢٣ . (٥) - سورة الانعام آية ٤٦ .

علة القسوة : ـ

قال الله تعالى : ﴿ فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ﴾ (٢) .

هاتان الايتان تؤكدان أن قسوة القلوب من الامور الصارفة لقبول الحق والاذعان له لانها من أمراض القلوب المستعصية وفيهما بيان لتصور حقيقة القلوب التى تتلقى الاسلام فتنشرح له وتذعن له كما فيهما تصور لحقيقة القلوب القاسية البعيدة عن ذكر الله ، وشتان بينهما (٣) .

علة الاشمئزاز : ـ

قال تعالى : ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالاخرة واذ ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾(٤) .

هذه الاية تصف واقعة حال على عهد النبى صلى الله عليه وسلم حين كان المشركون يهتشون ويبشون اذا ذكرت آلهتهم وينقبضون وينفرون اذا ذكرت كلمة التوحيد " (٥) .

وهكذا الحال دائما بالنسبة للقلوب المشمئزة فى كل زمان ومكان اذا دعوا الى الله وحده أعرضوا عنه وأما الباطل فيسيرون وراءه ويقتفون أثره ويصبح لهم منهاجا فى حياتهم .

علة الران : ـ

قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانو يكسبون ﴾ (٦) .

تشير هذه الاية الكريمة بأن الران مرض يصيب القلوب بسبب اقتراف الذنوب والآثام فيخطى عنه نور الهداية والتسديد فى الحياة فيبلده حتى يجعله ميتا غير قابل للحق والرشاد . قال الحسن البصرى "" وهو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت"(٧) .

---

(١) ـ سورة الانعام آية ٤٣ .

(٢) ـ سورة الزمر آية ٢٢ .

(٣) ـ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٣٠٤٨ المجلد الخامس .

(٤) ـ سورة الزمر آية ٤٥ .

(٥) ـ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٣٠٥٥ المجلد الخامس .

(٦) ـ سورة المطففين آية ١٤ .

(٧) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٤٨٥ المجلد الرابع .

علة الانكار :ـ

قال الله تعالى : ﴿ الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾(١) .

تدل هذه الاية الكريمة أن الانكار والجحود بوحدانية الله علة من العلل التى تصيب بعض القلوب المنكرة وهذه القلوب منكرة جاحدة لاتقر بما ترى الايات ، وأصحابها مستكبرون ، متعدون لا يريدون التسليم بالبراهين والاستسلام لله ورسوله ـ فالعلة أصيلة والداء كامن فى الطباع والقلوب " (٢) .

علة الاكنة :ـ

قال الله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ... ﴾(٤) .

تدل هاتان الايتان الكريمتان على أن الاكنة نوع من الاغطية التى تغطى بها القلوب المريضة لحجبها عن قبول الحق وتفقهها فى أمر دينها ، وهذا دليل على ارتكاسها فى الغواية والضلال وعن قضاء الله فيهم بألا يتلقى ادراكهم هذا الحق ولا يفقهه وبألا تؤدى أسماعهم وظيفتها فتنقل الى ادراكهم ماتسمع من هذا الحق فتستجيب له ، بما يروا من دلائل الهدى وموجبات الايمان " (٥) .

---

(١) ـ سورة النحل آية ٢٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٢١٦٧ المجلد الرابع .

(٣) ـ سورة فصلت آية ٥ .

(٤) ـ سورة الانعام آية ٢٥ .

(٥) ـ سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ١٠٦٥ المجلد الثانى .

علـــة اللهـــــو :ـ

قال الله تعالى : ﴿ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصـــــرون ﴾ (١) .

تبين هذه الاية الكريمة بأن القلوب الحية هي موضع التأمل والتدبر والتفكير ، أما القلـــوب اللاهية فهي فارغة لاتعرف الجد والعمل غير عابئة بما يلقى عليها من واجبات أو تكليف وتغدو الحياة عندها عاطلة رخيصة ، فهي بهذا مريضة لانها تلهو وتلعب وتستهتر بكل القيم والمبـــادئ التي يجب أن تتمسك بها ، ولانها لا تلقى لذلك بالا ، وأصحاب هذه القلوب موجـــــودون في كل عصر والقرآن حينما يصفهم بهذا الوصف ، يضع المنهاج الصحيح للعمل ليكون دستـــورا للحيـــــاة .

ومن هنا يظهر الفرق بين القلوب الحيـة المتلقية لاوامر الله والجاهـدة للعمـــل فيهـــا والانشغال بها تاركة وراءها كل مايشغلها ويلهيها ، والقلوب الميتة اللاهيـــة في ملذاتهـــا ومتعها الدنيوية لانها خاوية من مقومات الحياة التي خلقت لها لتعمرها لا لتلهو وتلعب فيها (٢) .

وبهذا فقد قررت هذه الايات التي أوردناها في كل علـــة من العلل والامراض التي تحدثت عنها بمسؤولية الانسان ومؤاخذتـــه بها عن أعمالـــه وأحوالـــه التي تعتريه من حيث القرب أو البعد في تعرفاتـــه .

---

(١) ـ سورة الانبياء آيـــة ٣ .

(٢) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن ص ٢٣٦٧ الجـــزء الرابع .

## تحقيق التوازن بين المطالب المادية والروحيـــة

ان الاسلام فى منهجه دائما يدعو الى التوازن الذى يجمع بين الشىء ومقابله فى اتســـاق وتناسق بلا غلـــو ولا تفريط ـــ فمن ذلك : التوازن بين حق الجسم وحق الروح فلا حرمـــان للجسم يصل الى حد التعذيب كما فى البرهمية الهندية والرهبانية المسيحية ونحوهـــــا ولا اغفال لامر الروح كما فى اليهودية الى حد كبير ، ثم فى المذاهب الماديـــة التى لم تعـــترف المرة بوجود فضلا عن أن يكون لها حق .

وعلى هذا فالاسلام يحفظ الانسان ويلبى كل مايتعلق بذات الفرد ، فان كان جسمـــا لـــه حاجاته وضروريات ـــه ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول "" ان لجسدك عليك حقا (١) ، وان كان روحا وقلبا ونفسا فلـــه مشاعره ودوافعـــه وأشواقـــه وجميع متطلباته ـــ قال تعالى : "" قد أفلـــح من زكاها وقد خاب من دساها " (٢) .

فلابد من التوازن بين الاعتقاد والشعور وبين النشاط والحركة ويمكن أن يتحقق هـــذا التوازن بين مطالب البدن والروح بالزهـــد ، واليه الاشارة فى قوله تعالى : "" وابتغ فيمـــا آتاك الله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفســـاد فى الارض ان الله لايحب المفسدين " (٣) .

تبين هذه الاية الكريمة فضل الله ونعمته على الانسان وأن الغاية السامية هى تسخير هـــذه الخيرات لعمل الاخـــرة والطاعـــة فيها ، بيـــد أن الاخـــذ منها بنصيب الدنيا واعطـــاء حظها فيما يرضى الله ويعينه على طاعته وتعمير الحياة فيها أمر مرغـــوب ومثـــاب عليـــه فاعلـــه (٤) .

---

(١) ـــ من حديث صحيح البخارى يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهمـــا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار ٠٠٠٠) الحديث ص ٢٤٥ الجزء الثانى باب الصوم ـــ المكتبة الاسلاميـــة .

(٢) ـــ سورة الشمس آيـــة ٩ ـــ ١٠

(٣) ـــ سورة القصص آيـــة ٧٧ .

(٤) ـــ راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٨ ٣ . المجلد الثالث ـــ مختصـــر تفسير الطبرى ص ١٦٢ . المجلد الثانـــى .

لهذا أودع الله في هذا الدين مايحقق كل جانب معتدل ، فمن سلك منهجه ووازن بينه بين الروحية والمادية فقد زكت نفسه وسما ضميره واعتدل فكره وتلاءم حسه وانتظمت حياته . وبهذه النظرة ربى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته في مكة ، وكان هو قدوتهم حيث أنفق على أصحابه مال خديجة وتبعه في هذا العمل أبو بكر رضي الله عنه عندما أنفق ماله في عتق الرقاق حتى حسن أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله)(١) .

فالزهد كما يراه صاحب كتاب "تذكرة الدعاة" هو أن تعرف الله أراد أن تحيا في حياتين وأن تثبت وجودك المادي في حياة المادة ، ووجودك الروحي فيما وراء المادة عاملا في الاولى بقوة بدنك وعاملا في الاخرى بقوة قلبك وملكاته محاذرا أن تنصرف عواطفك عما في يد الله الى متاع الدنيا " (٢) .

ولقد أصاب الاستاذ البهي الخولي في تعريفه للزهد الذي يجب أن يمارسه ويلتزمه الفرد المسلم حتى تستقيم به الحياة ، فالاسلام يزاوج بين النظريتين ، ويمزج بين الحياتين ، فهذه مزرعة لتلك ، والله قد استخلف الناس في الارض واستعمرهم فيها فلا ينبغي أن يخربوها أو يعطلوها والسعيد من فاز بحسنة الدنيا وحسنة الاخرة (٣) .

---

(١) ـ محمد بن اسماعيل البخاري ـ صحيح البخاري ص ١٩٢ ـ باب ٣ الجزء الرابع .

(٢) ـ انظر البهي الخولي ـ تذكرة الدعاة ص ٢٢١ .

(٣) ـ علي الحسن الندوي ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٨ ـ ٦٠ .
الدكتور عبد العزيز الخياط ـ المجتمع المتكامل في الاسلام ص ١٩٣ . سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ص ١٩٤ . الدكتور يوسف القرضاوي : الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢٧ .

بيان وتعقيب : ـ

بعد أن استعرضت الادراكات الثلاث التى زود الله بها النوع البشرى من حسية وعقلية وقلبية وبينت معناها وأهميتها وعلاقتها كما سبق بيانه ، بقى هنا اتجاه آخر له قيمته ومنزلته ينبغى أن نشير اليه وننوه به لانه يمثل وجهة الاسلام الصحيحة المعتدلة التى تستمد موازينها من نصوص الاسلام وقواعده دون أن تطغى عليها نزعة من النزعات فتغير مجرى حياتها وأبرز من يمثل هذا الاتجاه الايجابى المتوازن هم رجال " المدرسة المحمدية " التى جعلت أساس تفكيرها وطريقتها أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن خير القرون القرن الذى بعث فيهم وأن أفضل الطرق الى الله ماكان عليه هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام لانهم الصفوة الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوا القرآن وفهموه وعملوا به . فعن ابن مسعود قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن (١) .

فهؤلاء الذين عرفوا قول الله فهما وطبقوه عملا ، نتحسر موقفهم من هذه الادراكات التى منحهم الله اياها وكيف كانوا يتحكمون فيها ويحسون ويدركون بها .

ولاشك أن العربى الاول لهم هو رسول الله الذى رباه ربه فقام بتبليغ رسالته ونشر دعوته وغرس بذور الهداية والتوحيد والرشاد فى قلوب أصحابه فأخرج منهم نوعا فريدا نادرا .

وكان فى كل ذلك هو القدوة الحسنة لهم ـــ فعن عائشة رضى الله عنها قالت : عثر أسامه بأسكفه الباب فشج فى وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطى عنه فكأنى تقذرته فجعل رسول الله يمصه ثم يمجه وقال : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى ينقه (٢) .

فالرسول الكريم كان يحمل بين جنبيه قلبا رحيما واحساسا وشعورا يدفعه بأن يضع القواعد والاسس السليمة بما حباه الله من العقل الذى استطاع به أن يقنع الناس برسالة السماء وأن يفرض عليهم شخصيته الفذة وأن يجعلهم خلفاء الارض من بعده .

لقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم أعقل الناس وأذكاهم فطانة وفهما ، وكان يخاطب كل انسان على قدر عقله حتى فاز أخيرا وأنهى الشرك وعبادة الاوثان وعمت كلمة لا اله الا الله شبه الجزيرة العربية (٣) .

---

(١) ـ اسماعيل بن كثير القرشى : تفسير القرآن العظيم ص ٣ المجلد الاول .

(٢) ـ أنظر ابن الاثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ص ٦٥ الجزء الاول .

(٣) ـ أنظر عبد الرزاق محمد أسود : حياة الرسول المصطفى ص ٦٠٢ الجزء الثالث .

وقد كانت نتيجة هذا ماغرس في قلوب وعقول أصحابه المفاهيم الصحيحة السليمة في بداية الدعوة — حتى أصبح دينا لهم ، ويظهر هذا جليا في مخاطبة جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة عقله في تبرير موقفهم وخروجهم من بلدهم ، فالموقف الذي وقفه جعفر بن أبي طالب مع ملك الحبشة شارحا الاسلام وعارضا لدعوته ، ومبينا لما كانوا عليه من مساوئ الجاهلية ومحارمها كما روت القصة بكاملها في سيرة ابن هشام (١) . لدليل قوي على أن العقلية التي صنعها الاسلام وربا هم عليها الرسول بتأييد من خالقه عز وجل والهام منه ، لينشأ هذا الرعيل الاول على نور الاسلام وهدايته ، ويقتبس من يأتي بعده من هذا النور ويسير على هداه على نور وبصيرة كما يتبين لنا من هذا الموقف الفذ مايدل على سلامة الفطرة ورجاحة العقل اللتين امتاز بهما صحابة رسول الله في بداية الدعوة وبعده ، لان الوحي في تلك الفترة كان يصحح ويرعى اللبنة الاولى التي ستكون منعطف هداية ونور للمستقبل — بل للعالم أجمع في كل زمان ومكان ، ولكنها مع ذلك كانت سديدة الرأي متبعة لما يأمر به القرآن آخذة بقول رسول الهدى والرشاد الذي لاينطق عن الهوى ، فهي في كل أمورها سائرة على النهج الحق والصراط المستقيم بما حباها الله وفضلها على غيرها من الامم .

فهؤلاء الذين قد هيأ الله قلوبهم ونفوسهم حتى ألسنتهم للقيام بأعباء الدعوة ، هم من غرس الله تبارك وتعالى ومهبط الوحي ومدرسة النبوة ) ٢) التي قامت على العقيدة الصحيحة من توحيد وايمان بالله وحده مما كان لهذه العقيدة أثرها الطيب في التكوين العقدي في الحياة .

---

(١) — راجع ابن هشام : السيرة النبوية ص ٣٥٩ ومابعدها الجزء الاول .

(٢) — أنظر علي الحسني الندوي : روائع أدب الدعوة في القرآن والسيرة ص ٧٨ — ٧٩ .

## الفصل الثانى

## التكوين العقدى

تمهيد :-

بعد أن استعرضت الادراكات الثلاثة التى زود الله بها الانسانية جميعا وكل فرد بصفة خاصة ليدرك من خلالها الاشياء على حقيقتها ويصل بها الى خالقها وموجدها ليؤدى حقها وشكرها له سبحانه فيصح بذلك عقيدته وتخلو من أى زيف أو تحريف .

ويقول الله تعالى : ( قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض ... (١) . ويقول تعالى : ( الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ... (٢) .

ويقول تعالى : ( الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ... (٣) .

ففى هذه الايات يبين المولى جل قدرته أنه المستحق لمجامع الشكر والثناء الجميل الذى يليق بجلاله والمعبود الذى لاتصلح العبادة الا له (٤) .

ويقول القرآن مبينا وموضحا أنه لايصح أن يكون موجود بدون موجد ، أو أن يكون الشىء سببا فى وجود نفسه ، يقول البارئ سبحانه وتعالى : ( أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) (٥) .

يقول ابن كثير : هذا المقام فى اثبات الربوبية وتوحيد الالوهية . فقال تعالى : ( أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) (٦) . أى أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم أن لاهذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا (٧) .

ان تكوين العقيدة التى تنشأ فى الاعتقاد بوجود الله خالق من عقيدة التوحيد المركوزة فى طبائع الناس المودعة فى فطرهم منذ خلقهم الاول وأخذ الميثاق عليهم بذلك .

---

(١) - سورة ابراهيم آية ١٠ (٢) - سورة الانعام آية ١ .

(٣) - سورة فاطر آية ١ .

(٤) - راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص١٢٣ ، وابن جرير : مختصر تفسير الطبرى الجزء الثانى ص٢٢٨ .

(٥) - سورة الطور آية ٣٥ . (٦) - سورة الطور آية ٣٥ .

(٧) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص٢٤٤ .

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (٢) .

ويقول ابن كثير : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه (٣) .

فكل بني آدم فطر على الايمان وما جاء الايمان إلا بتوحيد ولذلك قال لهم قولوا " لا إله إلا الله " فان هذا القول رأس الايمان بالله لن يصادف إلا من هو مصدق بالإله ، وانما غلط من غلط في ذاته أو في صفته (٤) .

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة هذه الفطرة التي خلق عليها الناس بتوحيد ، واقرار الوحدانية له وحده — فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه مثل الانعام الصحاح تنتج صحاحا فتكوي آذانهم " (٥) .
وعلى هذا فان كل الانحرافات التي نعانيها في سلوكنا أفرادا وجماعات راجعة بكليتها الى الانحراف في التصور العقدي فالناس في هذه الايام بحاجة الى بناء العقيدة من جديد والى تصحيح التصور الاعتقادي فلابد من افراد الله سبحانه بالالوهية .

---

(١) — سورة الروم آية ٣٠ (٢) — سورة الاعراف آية ١٧٢ .
(٣) — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٢٦ المجلد الثاني .
(٤) — عبد الكريم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ٧١ .
(٥) — مسند الامام أحمد بن حنبل ص ٢٨٢ المجلد الثاني .

ولابد من أن تستقر عظمة الله عز وجل فى الاعماق وأن يغمر النفوس حبه ، ولا مناص من أن تحيا القلوب وهى تستشعر هيبته وجلاله (١) .

ان القرآن وهو يبنى العقيدة فى ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بها معركة ضخمة مع الجاهلية فى ضميرها وأخلاقها وواقعها ... وأنه لمن الضرورى لاصحاب الدعوة الاسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه فى الحركة على هذا النحو الذى بيناه ذلك ليعلموا أن مرحلة بناء العقيدة التى طالت فى العهد المكى على هذا النحو لم تكن منعزلة عن مرحلة التكوين العملى للحركة الاسلامية والبناء الواقعى للجماعة المسلمة ، ومن هذا يتضح أن استغراق نزول القرآن ثلاثة عشر عاما كاملة فى بناء العقيدة كان الهدف منه بناء عقيدة وبناء جماعة ، وبناء حركة فى وقت واحد وهذا ليس بالامر الهين بل يستغرق وقتا كبيرا فى بناء النفوس والجماعة حتى اذا نضج التكوين العقيدى كانت الجماعة هى المظهر الواقعى لهذا النضوج (٢) .

وبهذا كله يمكن تحقيق العبودية لله وحده الذى بالتالى يجعل التكوين العقيدى صحيحا سليما قائما على أساسه المتين وعناصره السليمة .

---

(١) ـ الدكتور عبد الله عزام : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص ١٠ ـ ١١ .

(٢) ـ سيد قطب : معالم فى الطريق ص ٣٨ ـ ٤٠ بتصرف .

## موقف العرب من العقيدة قبل البعثة

كان العرب الذين أرسل فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة للاعتقاد بالله واليوم الاخر منقسمين الى ثلاثة فرق : ـ

١ ـ فريق منهم يذهب الى أن هذا العالم لاخالق له وأنه موجود بطبيعته فليس هناك خالق يخضع له الانسان وتجب عبادته وأن الانسان اذا مات لايبعث ، فلا حياة بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب في دار أخرى وماهي الا أرحام تدفع وأرض تبلع ومايهلكهم الا الدهر والى هذا الفريق أشار القرآن بقوله تعالى : ﴿ ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ (٢) .

٢ ـ الفريق الثاني كان يؤمن بالله تعالى ويقر بخالق لهذا الكون ومؤيد له ولكنه كان ينكر البعث ويستبعده قائلا : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون " (٣) . وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الفريق في قوله تعالى : "" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " (٤) . فهذا الفريق من العرب كان يؤمن بالله ويقر بوجوده ولكنه كان ينكر البعث والحشر والثواب والعقاب ، ولذلك جاء القرآن الكريم بالرد عليهم وابطال رأيهم واثبات البعث في آيات كثيرة منها : يقول تعالى : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى ﴾ (٦) .

٣ ـ أما الفريق الثالث فقد كان يؤمن بالله تعالى ويقر بالبعث والثواب والعقاب ويعبد الله تعالى ويلجأ اليه طمعا في ثوابه وخشية من عقابه وهؤلاء كانوا جماعة ممن يدينون بدين سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ومنهم الحنفاء ولكنهم كانوا يخلطون في عبادتهم فلا يجعلونها خالصة لله تعالى ـ بل أشركوا معه غيره في العبادة .

---

(١) ـ سورة المؤمنون آية ٣٧ (٢) ـ سورة الجاثية آية ٢٤ .

(٣) ـ سورة المؤمنون آية ٨٢ (٤) ـ سورة العنكبوت آية ٦١ .

(٥) ـ سورة يس آية ٧٨ ـ ٧٩ (٦) ـ سورة القيامة آية ٣٦ ـ ٤٠

فجاء القرآن الكريم يدعو هؤلاء وغيرهم الى عبادة الله تعالى وحده والاخلاص له في العبادة وأن لايشركوا به شيئا . قال تعالى : "قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين" (١) .

يقول ابن كثير في معنى هذه الاية : أي فاعبد الله وحده لاشريك له وأدع الخلق الى ذلك وأعلمهم أنه لاتصلح العبادة الا لله وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولانديد (٢) . ومن ثم كانت العقيدة الالهية في الاسلام قائمة على التوحيد الخالص ومبطلة العقائد الفاسدة أو مصححة لها (٣) .

---

(١) ـ سورة الزمر آية ١١ .

(٢) ـ اسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن العظيم ص ٤٥ الجزء الرابع .

(٣) ـ القول المبين في سيرة سيد المرسلين : الدكتور محمد النجار ص ٤٣ ـ ٤٥ .

ـ راجع مناهج الجدل في القرآن الكريم : للدكتور زاهر عواد المعلمي ص ٢٩٨ ـ ٣٢٢ .

ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : علي الحسني الندوي ص ٦٥ .

ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : لعباس محمود العقاد ص ٣٨ ـ ٣٩ .

ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والصحافي والاجتماعي : الدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٧٢ ـ ٧٤ الجزء الاول .

## ضـــرورة وجـــود عقيـــــدة

ان العقيدة هي أساس كل شيء في حياة الانسان وبدونها لا يمكن له أن يحيا حياة مطمئنـــة لها قرار أو لذة وتحتل العقيدة مكانة كبرى لدى كل انسان حتى الملحد ولدى كل المجتمعـــات حتى تلك التي لا تعترف بالاديان وتعد العقيدة الموجه الاساسي لسلوك الفرد حيث تتحـــول الى موجهات قيمية تترجم الى واقع سلوكي ـ فالمعتقدات هي التي تحكم وتضبط وتحدد القيـــم وهذه الاخيرة هي تحدد مسارات السلوك وتضبطه وتحكمه وتوجهـــه ، ويطلق مفهوم العقيـــدة على التصديق الناشيء عن ادراك شعوري أو لا شعوري يقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما (١) .

" وسواء كان هذا الشيء فكرة ذهنية أو موجودا خارجيا أو شعورا وجدانيا وحقيقة قلبية فـــان المرء يستشعر في نفسه الخضوع له والاذعان لاوامره والوقوع تحت تأثيره بمقدار ما يتجلى له من حقيقـــة هذه الفكرة أو هذا الموجود وما ينكشف له من معان بينهما" (٢) .

ومن ثم فان الانسان لم يكف لحظة واحدة عن البحث في العقيدة واحتلت العقيدة الالهيـــة المكانة الاولى بين العقائد كلها ـ فقد بحث قدماء المصريين في الله تعالى وصفاته وفي الحياة الاخرة ومسألة الثواب والعقاب وبحث فلاسفة اليونان من سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم في أصـــل هذا الوجود وعلتـــه بحثوا في الله وعلاقته بهذا العالم ، وكان لليهود والنصارى بحوثهم في العقيدة وآراؤهم فيها حسب ما سنذكره فيما بعد .

وقد تحدث القرآن الكريم عن مسائل العقيدة الاسلامية في اسهاب ووضوح ذلك أنه كتـــاب كريم يدعو الناس الى العقيـــدة السليمـــة فنراه يثبت وجود الله تعالى بما لا يترك مجالا للشـــك في وجوده ويقيم على ذلك الادلـــة القاطعة والبراهين الساطعة على وجود الـــه واحـــد ويكون القرآن هو المصدر الصحيح لبيان العقيدة عند المسلمين (٣) .

---

(١) ـ الدكتور نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الاسلامي ونظمـــه ص ١٩ .

(٢) ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار : العقيدة والاخلاق وأثرهما في حيـــاة الفـــرد والمجتمع ص ١٥ .

(٣) ـ راجع عثمان جمعه ضميرية : التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان ص ١٠ ـ ١٥ .
ـ عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص ٣٢ ـ ٥٥ .
ـ سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ص ٣٠٩ ـ ٣٢٠ .

## عناصر العقيدة

مما لاشك فيه أن العقيدة في حد ذاتها يمكن أن تكون صالحة كما يمكن أن تكون فاسدة وأن صلاحها أو فسادها انما مرده الى سلامة العقل أو فساده ويقظاته أو غفلته واستنارة البصيرة فيه أو ظلامها واستعداد المرأ لقبول الحق أو الاعراض عنه بما منحه الله من فطرة سليمة يولد بها ومن عقل مصاحب لهذه الفطرة فهناك اذن مع الانسان أكثر من داع يدعوه الى الله ويكشف له معالم الطريق الى خالقه ، الفطرة والعقل ثم الرسول المبلغ عن الله تعالى لمن بلغته الدعوة فمتى كانت هذه الامور قائمة على الصحة والسلامة ـ مكنت الانسان بالاتصال بخالقه عن طريق هذه العقيدة في تثبيت وترسيخ عناصرها حتى يصل ويدرك الحقيقة التي لابد لكل فرد من ادراكها بما أودع الله فيه من قوة عقلية وادراكية استحق أن يكون خليفة الله في الارض واذا كان الاسلام قد أعطى كل فرد مسلم حقه كاملا من النظر في أمور دينه وفي تقرير عقيدته التي تنبني على أركان وأسس قويمة اذا التزم بها وسار على نهجها سعد في الدنيا والاخرة . وفاز بالحسنيين وهذه الاركان والاسس التي هي عناصر العقيدة السليمة ـ قد أشار اليها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأخبرني عن الايمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره (١) .

وفي الحديث الذي أخرجه الامام مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال : يارسول الله ـ ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الاخر (٢) .

فهذه العناصر التي تكتمل بها العقيدة والتي يرتضيها الله لعباده هي : ـ

١ ـ الايمان بالله وحده : ـ

---

وهو الاساس الاول الذي دعا كل نبي قومه اليه ليعرفهم طريق الوصول اليه ويعبدوه حق العبادة ويخلصوا له غاية الاخلاص والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ويكررها في قصة كل رسول (٣) .

---

(١) ـ صحيح مسلم : كتاب الايمان الجزء الاول ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) ـ نفس المرجع السابق .

(٣) ـ راجع الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٢١ . وحرية الانسان في الفكر الاسلامي للدكتور فاروق دسوقي ص ٤١ .

قال تعالى : ( لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال : ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) (١) . وقوله تعالى : ( والى عاد أخاهم هودا قال : ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ) (٢) . وقوله تعالى : ( والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ) (٣) . وقوله تعالى : ( والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ) (٤) . وقوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٥) .

فيتضح ويتقرر من هذه الآيات أن جميع الرسل كانت دعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له لانه لامعبود تصلح العبادة له سواه ، فيجب اخلاص العبادة له وافراده بالالوهية وعندها يتم ايمان المرء وتصح عقيدته فى الذات الالهية . (٦) .

فلا عجب أن يكون أساس عقيدة المسلم هو الايمان بالله وحده واليقين بوجوده وتوحيده وتنزيهه عن الشركاء . (٧) .

قال تعالى : ( وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون) (٨) .

وقوله تعالى : ( ولاتدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ) (٩) .

---

(١) ـ سورة الاعراف آية ٥٩ (٢) ـ سورة الاعراف آية ٦٥ .

(٣) ـ سورة الاعراف آية ٧٣ (٤) ـ سورة الاعراف آية ٨٥ .

(٥) ـ سورة الانبياء آية ٢٥ .

(٦) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم المجلد الثانى ص ٢٢٨ . ومختصر الطبرى : المجلد الثانى ص ٥٣ .

(٧) ـ الدكتور مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ٢٩ .

(٨) ـ سورة القصص آية ٧٠ .

(٩) ـ سورة القصص آية ٨٨ .

وقوله تعالى : ( ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ) (١) .

وقوله تعالى : ( قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء نى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين ) (٢) .

فى هذه الايات المكية يبين المولى جل قدرته أن الاشراك بالله وعبادة غيره محبط للاعمال وصاحبه يكون مصيره الخسران والوبال والطرد والابعاد ، لان الطاعة والعبادة لاتكون خالصة الا لمستحقها وهو الله وحده ـ قال ابن كثير : "أى أخلص العبادة لله وحده لاشريك له أنت ومن تبعك وصدقك" (٣) .

فالدين الصحيح هو منهج الله للبشر وهو وحى الله الى أنبيائه ليسلك العباد طريقهم الى الله على أساس العبودية الكاملة لله وحده ، متمثلة فى الاعتقاد والعبادة والشريعة على السواء ، هكذا تتصل حياة الناس بحياة الملأ الاعلى وتتصل الدنيا بالاخرة فى أمن وايمان وامأنينه فى القلب وتحرر من الخوف والقلق فى كل حال من الاحوال . (٤) .

٢ ـ الايمان بالملائكة : ـ

هو جزء من عقيدتنا وهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكلات المختلفة وهم أيضا عالم من عوالم الغيب التى لايعلمها علما تاما على حقيقتها الا خالقها تعالى . فالايمان بوجود الملائكة واجب ومنكره كافر لانكاره شيئا علمناه من الدين علما ضروريا .

وقد ورد ذكر الملائكة فى عديد من الايات القرآنية مبينة صفاتهم وأحوالهم والوظائف الملقاة على عاتقهم فمن صفاتهم : ـ

١ ـ أنهم منزهون عن خصائص البشر فلا حاجة بهم الى مطعم أو مشرب أو تناسل . قال تعالى : ( وجعلنا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ) (٥) .

٢ ـ أنهم يسبحون الليل والنهار لايفترون . قال تعالى : ( وله من فى السموات والارض لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لايفترون ) (٦) .

---

(١) ـ سورة الزمر آية ٦٥ . (٢) سورة غافر آية ٦٦ .

(٣) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ص ٦١ .

(٤) ـ سيد قطب : هذا الدين ص ٤ ـ معالم الطريق ص ٧٩ ـ ١٨١ .

(٥) ـ سورة الزخرف آية ١٩ .

(٦) ـ سورة الانبياء آية ١٩ ـ ٢٠ .

أما وظائفهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى فعديـــــدة : ـ

١ ـ فمنهم الموكل بحمل الوحي الى الرسل وهو جبريل عليه السلام ويسمى الـــروح الامـــين والروح القدس . قال تعالى : ( نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ) (١) . وقوله تعالى : ( قل نزله الروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ) (٢) .

٢ ـ ومنهم حملة العرش . قال تعالى : ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنـــــوا ) (٣) .

٣ ـ ومنهم الموكل بقبض الارواح . قال تعالى : ( قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ) (٤) .

٤ ـ ومنهم الكتبة لاعمال العباد . قال تعالى : ( وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمـــون ماتفعلون ) (٥) .

٥ ـ ومنهم الحفظة لبني آدم . قال تعالى : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونـــــه من أمر اللـــــه ) (٦) .

٦ ـ ومنهم المبشرون بالفوز والفلاح للمؤمنين خاصة عند نزول الموت بهم . قال تعالى : ( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعـــــدون ) (٧) .

بعد استعراضنا لهذه الوظائف الملائكية ندرك أن أي احساس يحسه المؤمن حين يستشعر أن الملائكة يحيطون به ويقومون على أمره ويحفون بموكبه الايماني نحو الله تعالى ، وحـــين يستشعر أيضا أن خلقا من أكرم خلق الله لا يفارقونه ، بل يتأذون بما يؤذيه ويفرحون بطاعتـــــه ويزفونها بالحب والبشـــــرى .

ومن هنا فان الايمان بالملائكة يؤدي مهمة ايمانية في حياة المؤمن تتصل بالايمان باللـــــه في الاعتقاد والسلوك بالاضافة الى تلك السعة النفسية التي يكسبها الانسان ينفسح أمامه عالـــم الكائنات فلا يقتصر منها على ماتدركه حواســـــه فحســـــب . (٨) .

---

(١) ـ سورة الشعراء آية ١٩٣ .
(٢) ـ سورة النحل آية ١٠٢ .
(٣) ـ سورة غافر آيـــة ٧ .
(٤) ـ سورة السجدة آية ١١ .
(٥) ـ سورة الانفطار آية ١٠ .
(٦) ـ سورة الرعـــد آية ١١ .
(٧) ـ سورة فصلـــت آية ٣٠ .
(٨) ـ محمد قطب : دراسات قرآنيـــــة ص ٩٢ ـــ ٩٣

فالملائكة اذن نموذج رفيع من الصفات والخصال،ومثل أعلى يقترب منه الانسان بل يعلو عليه بقدر مايرتفع عن نزوات النفس ووهاد الشهوات ، ويبرأ من نزعات الشيطان (١) .

٣ ـ الايمان بالكتب السماوية :ـ

معناه التصديق بأنهاكلام الله المنزل على رسله وكل ماتضمنته فهو حق وصدق ، وقد أنزل الله هذه الكتب على أنبيائه ورسله لبيان حقه ، والدعوة اليه كمال قال تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ) (٢) .

وقال سبحانه : ( وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) (٣) . وقال تعالى : ( الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ) (٤) . ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها فى كتابه الاخير كصحف ابراهيم والتوراة والزبور والقرآن وهو أفضلها وخاتمها وهو المهيمن عليها والمصدق لها وهو الذى يجب على جميع الامة اتباعه وتحكيمه لان الله سبحانه أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليحكم به بينهم وجعله شفاء لما فى الصدور وتبيانا لكل شىء وهدى ورحمة للمؤمنين كما قال تعالى : ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ) (٥) .

ومن واجب الامة الخاتمة المهيمنة ألا يكون فى صدرها حرج من الكتب السابقة ولا من الاقوام المؤمنين بتلك الكتب الذين علم الله أنهم سيدخلون فى ولاية هذه الامة وسلطانها" (٦) .

ويعتبر القرآن ناسخا لما قبله من الكتب السماوية،لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان مع الاعجاز الذى بهر فى عصره أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان وعجزوا أن يأتوا بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا ، وقد بين الله فيه مايحتاجه البشر ولم يترك صغيرا أوكبيرا الا حواه فهو منهاج حياة ودستور عمل للمسلمين جميعا فى كل زمان ومكان وقد تكفل الله بحفظه كما قال تعالى : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (٧)

---

(١) ـ راجع مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٨ ـ ٢٥٥ القسم الاول العقيدة والاداب الاسلامية : سيد قطب : تفسير سورة الشعراء ص ٢١ ـ ٢٢ الدكتور عبد الله عزام : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص ٣١ . حافظ بن أحمد حكمى : معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد الجزء الثانى ص ٦٣ ـ ٧٤ . الدكتور مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ٨٢ ـ ٨٧ .

(٢) ـ سورة الانعام آية ١٥٥ (٣) ـ سورة النحل آية ٦٤ .

(٤) ـ سورة غافر آية ٧٠ (٥) ـ سورة النحل آية ٨٩ . (٦) ـ محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٩١ . (٧) سورة الحجر آية ٩ .

" أما الكتب السابقة عليه مع أنها من عند الله الا أن يد البشر امتدت اليها تعبث وتحرف وتبدل وتغير كما أخبرنا القرآن الكريم عن ذلك فى محكم آياته عن أهل الكتاب ، والقرآن الكريم لم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند حيث لم يتكفل بحفظها بل وكلها الى حفظ الناس . والسر فى هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جىء بها على التوقيت لا التأبيد وان هذا القرآن جىء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها فكان جامعا لما فيه من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادا سدها ولم يكن شىء منها ليسد سده فقضى الله أن يبقى حجة الى قيام الساعة واذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم "(١) .

فما أروع هذا التعليل الحسن فى بيان سر هذه التفرقة المستنبطة .

٤ ـ الايمان بالرسل :ـ

من فضل الله وعدله ورحمته بعباده أنه لم يترك الناس بلا هداية ورشد ـ بل أبان لهم الحق ووضح لهم السبيل ليقيم عليهم الحجة والبرهان ـ لذلك أرسل الى عباده رسلا منهم مبشرين ومنذرين ودعاه الى الحق فمن أجابهم فاز بالسعادة ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة كما قال سبحانه : ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٢) . وقال تعالى : ( ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) (٣) .

فهؤلاء الصفوة المختارة الذين اصطفاهم من بين خلقه ليكونوا رسله بين عباده يبينون لهم الحق من الضلال ويخرجونهم من الظلمات الى النور ، يجب الايمان بهم اجمالا وتفصيلا ثم تصديقهم فى كل ما يبلغون به عن الله وأنهم معصومون من الخطأ ولهم من الفطانة والذكاء الذى منحهم الله اياه ليقوموا بتبليغ الرسالة على أتم وجه وأكمله ، كما أننا مأمورون بطاعتهم واتباعهم فى كل ما يأمرون به لان طاعتهم طاعة الله . قال تعالى : ( انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (٤) وقال تعالى : ( ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ) (٥) .

---

(١) ـ الدكتور محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ص ١٢ ـ ١٣ . الشيخ حافظ أحمد حكمى : معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد الجزء الثانى ص ٧٤ ـ ٧٨ . الدكتور مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ١٠٠ ـ ١٠٣ . سعيد هوى : الاسلام ص ٣١ ـ ٣٢ . الدكتور عبد الله عزام : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) ـ سورة النحل آية ٣٦ (٣) . سورة الروم آية ٤٧ .

(٤) ـ سورة الشعراء آية ١٢٥ ـ ١٢٦ . (٥) ـ سورة الزخرف آية ٦٣

فهذه الايات فيها أمر بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له وأن يطيعوا رسوله فيما بلغهم به من الرسالة (١) .

وهؤلاء الرسل جميعا تربطهم قرابة العقيدة وصلة الايمان والدعوة الواحدة التي هي عبادة الله وتوحيده . كما قال تعالى : ( وما أرسلنا من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ) (٢) .

ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين كالذين أتى القرآن بأسمائهم وهم خمسة وعشرون رسولا . . . ونؤمن أيضا بأن هناك رسلا آخرين بعثهم الله الى الناس ولم تذكر أسماؤهم في القرآن . كما قال الله تعالى : ( ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ) (٣) ونؤمن بأن الرسالة قد تمت وختمت بخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ) (٤) .

---

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٣٤٣ .

ابن جرير : مختصر تفسير الطبري الجزء الثاني ص ١٢٧ .

(٢) - سورة الانبياء آية ٢٥ .

(٣) - سورة غافر آية ٧٨ .

(٤) - الدكتور مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ٨٨ — ١٠٠ .

سعيد هوى : الاسلام ص ٣٢ . معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد الجزء الثاني ص ٧٨ — ٨٢ .

## شبهة انكار الرسل من البشر والرد عليها

لقد أنكر كفار مكة قضية أن يرسل الله رسولا من البشر وينزل كتابا يوحى به الى البشر زاعمين أن هذا أمرا لا يتصور وما ذلك الا عنادا منهم واستكبارا لانهم لو نظروا حولهم واعترفوا بواقعهم مع أهل الكتاب الذين يعاملونهم فى البيع والشراء ويخالطونهم فى الاسواق ومع ذلك لم ينكروا عليهم بأنهم أهل كتاب كما أنهم من قبل كانوا يبشرون بمقدم هذا الرسول الذى تمنوا أن يكون منهم أيضا فما المانع أن يصدقوا بأن يكون الرسول بشرا ينزل عليه الوحى بكتاب يتلى . .

انه منطق اللجاج والعناد والمكابرة فى قبول الحق مع وضوح أدلته ، ولكن الله سبحانه يقرر أن هذه القضية واحدة عند هؤلاء ومن كان قبلهم فى احتجاجاتهم الباطلة المرفوضة وأن الرسول الى البشر لا يكون الا بشرا مثلهم ليحصل بينهم الوفاق والتفاهم ولا بد أن يوحى اليه بكتاب من عند الله يبلغهم أوامره ونواهيه وهناك حشد كبير من الايات المكية التى تدل على هذا المعنى يقول الله تعالى : ( وما قدروا الله حق قدره اذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ، وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ) (١) .

وقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فأسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) (٢) .

---

(١) - سورة الانعام آية ٩١ - ٩٢ .

(٢) - سورة النحل آية ٤٣ .

وقال تعالى : ( فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ) ( ١ ) .

وقال تعالى : ( ماهذا الا بشرا مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكته ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ) ( ٢ ) .

وقال تعالى : ( ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ) ( ٣ ) .

فى هذه الايات دليل على اثبات الرسل من البشر بوحى من الله تعالى لمن أنكر هذه القضية . قال سيد قطب رحمه الله : فالاعتراض المكرور هو الاعتراض على بشرية الرسول ، وهذا الاعتراض الناشىء من انقطاع الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين وبين النفخة العلوية التى تصل الانسان بخالقه الكريم . ( ٤ ) .

وقد رد الله سبحانه هذا الاعتراض على لسان الرسل أنفسهم فقال تعالى : ( قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ( ٥ ) .

فى هذه الاية اقرار من الرسل بأنهم قد أرسلوا الى قومهم وان كانوا بشرا مثلهم لان فضل الله ونعمته يؤتيه من يشاء وهى منة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم ولكن على البشرية التى تتشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظمى ( ٦ ) .

---

( ١ ) - سورة هود آية ٢٧ .

( ٢ ) - سورة المؤمنون آية ٢٤ .

( ٣ ) - سورة المؤمنون آية ٣٣ .

( ٤ ) - سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص ٢٤٦٧ .

( ٥ ) - سورة ابراهيم آية ١١ .

( ٦ ) - سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص ٢٠٩١ .

٥ – الايمان باليوم الاخـــر :-

وهو اليوم الذى يرجع فيه العباد الى ربهم ليحاسبهم فيه رب العزة والجلال علـــى ما اقترفوه فى هذه الدنيا من خير أو شر فيجازى كل حسب عمله وهو يوم القيامـــة ويـــوم البعث لان الناس يقومون ويبعثون من قبورهم للوقوف أمام ربهم عز وجل لمحاسبتهم .

فالايمان بهذا اليوم يدخل فيه الايمان بكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليـــه وسلم مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وما يكون يوم القيامـــة من الاهـــوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ، ونشر الصحف بين الناس فآخذ بيمينـــه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال تعالى : ( فأما من أوتى كتابه بيمينه فسـوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ) (١) . ويدخل فى ذلك أيضا الايمان بالحوض المورود لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بالجنة والنار ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه اياهـــم واسباغ الرضوان عليهم وغير ذلك مما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم .

فيجب الايمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذى بينه اللـــه ورسولـه صلى اللـه عليه وسلم كما جاء فى الحديث القدسى فى رؤية المؤمنين لربهم . فعن صهيب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( اذا دخل أهل الجنة الجنـــة قال : يقول اللـــه تبارك وتعالى ( تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنـــة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهـــم من النظـــر الى ربهـــم ) . (٢) .

وكما جاء فى احلال الرضوان على أهل الجنة . فعن أبى سعيد الخـــدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( ان الله يقول لاهل الجنة يا أهل الجنـــة فيقولون لبيـــك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنـــا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأى شىء أفضـــل من ذلك فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبـــدا ) (٣) .

---

( ١ ) – سورة الانشقاق آيـــة ٧ – ١٢ .

( ٢ ) – الاحاديث القديمة : جمع واعداد لجنة من العلماء الجزء الثانى ص ١٧١ .

( ٣ ) – أنظر صحيح مسلم الجـزء الثانى ص ٥٣١ .

ولهذا يصف القرآن الدنيا بأنها لهو ولعب بالنظر للاخرة التى هى الحياة الحقيقية التى يحظى فيها برضوان رب العالمين وفيها كذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت . قال تعالى : ( وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وأن الدار الاخـــرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ) (١) .

فى هذه الاية يقول الله تعالى مخبرا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها وأنهـــا لا دوام لها وغاية مافيها لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان أى الحيـــاة الدائمة الحق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل مستمرة أبد الاباد (٢) .

فهذا اليوم هو الفيصل بين العباد الذى يعلم فيه كل انسان مصيره وتنكشـــف لـــه الحقائق الغائبة عنه ، فمن أنكر هذا وتجاهل أمره فقد كفر لانـــه أنكر أصلا من أصول الدين التى جاءت بها الكتب السماوية جميعها . قال تعالى : ( والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقـــوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين ) (٣) . والحق أن الايمـــان بالاخرة هو دعامة الايمان الذى يمنع الانسان من الوقوع فى المحرمات لانـــه يعلم بأن كل عمـــل مسجل عليه ومحصى فى كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها كما قال سبحانه : ( وكـــل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفســـك اليوم عليك حسيبا ) (٤) ، لقد أكثر القرآن الكريم من ذكر اليوم الاخـــر بأسمائه العديدة للاهتمام به وعظم شأنه فما السر فى هذا الاهتمام بهذه العقيدة وعقيدة البعث والجـــزاء ؟

ان الاعتقاد بالاخرة يمثل حقيقـــة عميقة التأثير فى حياة البشرية بأسرها ولن يستقيم للبشرية حال ان لم تشعر بأن الاخـــرة تنتظرها فى حياتها الدنيـــا .

والى هذا المعنى أشار صاحب كتاب الاسلام يتحدى بقولـــه :"ان حاجتنا الملحة الى الاخرة فى تنظيم الحيـــاة واقامتها على أساس عادلـــة حقيقيـــة هى فى حـــد ذاتها تأكيد بأن الاخـــرة من كبريات حقائق الكون"(٥) .

---

(١) سورة العنكبوت آيـــة ٦٤ .

(٢) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٤٢١ .

(٣) ـ سورة العنكبوت آيـــة ٣٦ . (٤) ـ سورة الاســـراء آيـــة ١٣ ـ ١٤ .

(٥) ـ وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ١٣٩ . ترجمـــة ظفـــر الاسلام خـــان .

الذى أريده هو أن تتمثل الدار الاخرة فى شعورنا الحياتى وسلوكنا اليومى فنقرن الدنيا بالاخرة دوما ونعطى للاخرة دور المراقب الذى يشحن نوايانا وأفعالنا الخوف والخشية ، وبذلك لايصبح الاعتقاد أمرا غريبا على سلوكنا وبذلك أيضا نضيف عنصر البقاء الى دنيانا الفانية المنتهية ولست أملك أن فى ذلك صلاحنا فى الدنيا والاخرة معا ورقينا فيهما معا .(١) .

٦ ــ الايمان بالقضاء والقدر : ــ

الايمان بالقضاء والقدر معناه أن تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره هو مريد لها والقدر تعلق الارادة بالاشياء عند ايجادها والقضاء تعلقها بها أزلا .

ولقد وردت مادتا القضاء والقدر فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة وبمعان مختلفة ومتعددة ، فورود مادة القضاء بمعنى الاخبار والاعلام فى قوله تعالى : ( وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ) (٢) .

ووردت بمعنى الامر والحكم كما فى قوله تعالى : ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) (٣) . ففى الاية الاولى بمعنى الاخبار والاعلام ، والثانية بمعنى الامر والحكم كما ذكره ابن كثير والطبرى (٤) .

ووردت بمعنى الارادة كما فى قوله تعالى : ( ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ) (٥) . أى اذا أراد شيئا فانما يأمر به فيصير كما يشاء (٦) .

وورد القدر فى القرآن الكريم بعدة معان أيضا منها القدر بمعنى العلم والارادة . قال تعالى : ( ان كل شىء خلقناه بقدر ) (٧) . وورد القدر بمعنى الترتيب والتنظيم . قال تعالى : ( وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) (٨)

---

(١) ــ الدكتور مصطفى عبد الواحد : راجع شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ٤٤ ــ ٥٦ . الدكتور عبد الله عزام : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص ٣٧ ــ ٣٨ . محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٨٣ ــ ٨٤ . معالم القبيل بشن سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد الجزء الثانى ص ٨٢ ــ ٩٩ .

(٢) ــ سورة الاسراء آية ٤ . (٣) ــ سورة الاسراء آية ٢٣ .

(٤) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٢٥ ــ ٣٤ . ومختصر تفسير الطبرى الجزء الاول ص ٤٧٢ ــ ٤٧٥ .

(٥) ــ سورة مريم آية ٣٥ . (٦) ــ ابن كثير : انظر تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ١٢٠ .

(٧) ــ سورة القمر آية ٤٩ . (٨) ــ سورة فصلت آية ١٠ .

أن رتبها ونظمها على الكيفية التي أرادها سبحانه ويتضح لنا فيما سبق ، أن القضاء ايجاد الله تعالى الاشياء وابداعها على وجه الاحكام والاتقان ، والقدر هو علم الله تعالى الازلي بما كان وما سيكون وما هو كائن واحاطة علمه تعالى بكل شيء ، فالله سبحانه وتعالى قدر كل شيء وعلمه منذ الازل ولا يزال يعلمه الى مشاء الله وقضى كل شيء وحكم به وأوجده ايجادا كاملا على الوجه الذي يليق بجلاله تعالى وكماله،وحكم الايمان بهما هو واجب لان الله سبحانه قد منح الانسان ارادة وقدره وترك له الاختيار بين الهوى والضلال وتلك مسؤولية الانسان كما قال تعالى : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (١) .

وبين له أسباب الفوز والنجاح وأسباب الهلاك والخسران في قوله تعالى : (فأما من اعطى واتقى،وصدق بالحسنى،فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى،وكذب بالحسنى،فسنيسره للعسرى) (٢) . وذلك هو موقف القضاء والقدر من افعال العباد واتجاههم بين الخير والشر . فالايمان بالقدر يتضمن أمورا أربعة :ـ

أولها :ـ أن الله سبحانه قد علم ما كان ومايكون وعلم احوال العباد وأرزاقهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم التي لاتخفى عليه من ذلك شيء كما قال سبحانه : (ان الله بكل شيء عليم) (٣) .

ثانيها :ـ كتابته سبحانه لكل ماقدره وقضاه وحكم به كما قال سبحانه : (قد علمنا ماتنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) (٤) . وقال تعالى : (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) (٥) .

ثالثها :ـ الايمان بمشيئة الله النافذة فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن . قال سبحانه : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٦) . وقوله تعالى : (وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين) (٧) .

رابعها :ـ انه سبحانه خالق لجميع الموجودات ولا خالق غيره ولا رب سواه كما قال سبحانه : (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) (٨) .

---

(١) ـ سورة الكهف آية ٢٩ . (٢) ـ سورة الليل آية ٤ ـ ١٠ .
(٣) ـ سورة العنكبوت آية ٦٢ . (٤) ـ سورة ق آية ٤ .
(٥) ـ سورة يس آية ١٢ . (٦) ـ سورة يس آية ٨٢ .
(٧) ـ سورة التكوير آية ٢٩ .
(٨) ـ سورة فاطر آية ٣ .

فمن آمن بهذه الامور وصدق بها ارتاحت نفسه واطمأن قلبه وسكنت جوارحه خشية لله رب العالمين ونور أمره اليه ولم يتصور عنده الخوف والفزع فان أجله محدود وقضاء الله عز وجل نافذ ولا راد لقضائه تعالى ولا معقب لحكمه . قال تعالى : ( ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ) (١) . وقوله تعالى : ( اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) ( ٢ ) .

وهكذا فان الايمان بالقضاء والقدر يستلزم الرضا بهما والعمل بكل ما كلفنا الله به أو نهانا عنه من غير تبرم أو ضجر ، وأن نعلم علم اليقين أن كل ما يصيبنا في هذه الحياة من خير وشر قدره الله علينا وحكم علينا به وهذا هو حقيقة الايمان وكماله (٣) .

---

(١) ـ سورة نوح آية ٤ .

(٢) ـ سورة يونس آية ٤٩ .

(٣) ـ ابن القيم الجوزية : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢ .
مصطفى عبد الواحد : شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ص ٧٤ ـ ٨١ .
ولي الله عبد الرحمن الدهلوي : حجة الله البالغة الجزء الاول ص ٦٥ ـ ٦٦ .
الشيخ محمد الغزالي : هذا ديننا ص ٢٣ ـ ٢٨ .

## دحض العقائد الفاسدة

يهمنا هنا أن نجمل العقائد الفاسدة بعد أن بينا طريقة العقيدة الصحيحة ، تلك الطريقة التي تقوم على دحض العقائد السابقة وتوضيح العقيدة الصحيحة بعناصرها وأركانها التي تتركز عليها وتدعو اليها الجماعة الاسلامية ، لتكون نقية صافية لاتشوبها أو تعلق بها أي انحراف مثل ما أصاب قبلها من الامم . وهذه العقائد الفاسدة هي كالاتي :ـ

عقيدة الوثنية والشرك :ـ

على الرغم من احتفاظ العرب ببعض الطقوس الحنيفية التي ورثوها عن ابراهيم واسماعيل ، فان الوثنية قد دخلت عليهم وامتزجت بديانتهم ، وفكرة الوثنية قامت على عبادة مظاهر الطبيعة كالارض والسماء والنجوم ، واتخذ عرب الجاهلية لهذه أشكالا مختلفة من بيوت وأحجار وأشجار تمثل الانسان أو الحيوان فعبدوها وطافوا حولها وعقدوا أسواقهم بجوارها (١) .

وقد سخر الله على هذه المعبودات التي كانوا يعبدونها ومن بينها اللات والعزى ومناة فقال تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ) (٢) .

في هذه الاية الكريمة يقول تعالى مزريا للمشركين في عبادتهم الاصنام والانداد والاوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (٣) . وقال صاحب كتاب الخازن : " وهذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وكانت اللات بالطائف على شكل رجل ، والعزى وهي شجرة بنخلات وقد قطعها خالد بن الوليد ، ومناة صنم لهذيل وخزاعة كانت بقديد وتعبدها أهل مكة " (٤) .

---

(١) ـ الحميد عبد الرزاق محمد أسود : حياة الرسول المصطفى الجزء الاول ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) ـ سورة النجم آية ١٩ ـ ٢٣ .

(٣) ـ اسماعيل بن كثير القرشي : الجزء الرابع : تفسير القرآن العظيم ص ٢٥٣ .

(٤) ـ علاء الدين علي بن محمد ابراهيم البغدادي : تفسير الخازن ، الجزء الرابع ص ١٩٥ .

وكان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة ،كانوا يعتقدون فى الله أنه اله أعظم خالق الاكوان ومدبر السموات والارض وهو الرازق والمحى والمميت وبيده كل شئ قال الله تعالى : ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ) (١) . وقال تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ) (٢) .

فى هاتين الآيتين إخبار عن عقيدة العرب التى كانوا عليها نحو الله ، وذلك اذا سئلوا عن خالق السموات والارض ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ومحى الارض بعد موتها يقرون أن صانع هذا كله هو الله ، ولكنهم مع هذا يعبدون أصنامهم أو يعبدون الملائكة ويجعلونهم شركاء لله فى العبادة وان لم يجعلوهم شركاء له فى الخلق .

عقيدة الصابئة :-

وهم الذين نزهوا أنفسهم عن أوضار الوثنية وأوجدوا لانفسهم مذهبا نقيا أخذوه من اليهودية والنصرانية والحنيفية فكانوا يستقبحون عبادة الاصنام وشرب الخمر ووأد البنات والمقامرة ولعب الميسر ويؤمنون بوجود الله واحد يحاسب الناس على أعمالهم يوم القيامة ويعبد اتباعها النجوم والكواكب .

---

(١) - سورة العنكبوت آية ٦١ .

(٢) - سورة يونس آية ٣١ .

وفى سورة الانعام نجد مناقشة سيدنا ابراهيم عليه السلام لعبدة الكواكب فى قوله تعالى : ( وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقومى انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين)( ١ ) .

والحق أن ابراهيم عليه السلام كان فى هذا المقام مناظرا لقومه ومبينا لهم خطأهم وضلالهم فى عبادة الهياكل وهى الكواكب السيارة السبعة أو هى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل وقد عبد العرب بعضا منها .

ومن خلال هذه المناقشة استطاع أن ينتقل من درجة الانكار على عبادة الالهة الزائفة الى درجة اليقين الواعى بالاله الحق .

ولقد كانت هذه الحجة التى ألهمها الله ابراهيم ليدحض بها حجتهم التى جاءوا بها يجادلونه ، ولقد كشف لهم عن وهن ماهم عليه من تصورهم أن هذه الالهة تملك أن تسىء اليه . .

وواضح أنهم ماكانوا يجحدون وجود الله ولا أنه هو صاحب القوة والسلطان فى الكون ولكنهم كانوا يشركون به هذه الالهة ويقدمون لها القرابين ويخصونها بالسجود عند شروقها وعند توسطها السماء وعند غروبها ، لتكون راضية عنهم ( ٢ ) .

قال الله تعالى : ( مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) ( ٣ ) . قال ابن كثير فى معناها : أى انما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فى نصرهم ورزقهم وماينوبهم من أمور الدنيا . ( ٤ ) .

---

( ١ ) - سورة الانعام آية ٧٥ - ٧٩ .

( ٢ ) - العميد عبد الرزاق محمد أسود : حياة الرسول المصطفى ص ٤٢ .
اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص ١٥١ .
سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الثانى ص ١١٤ .
الدكتور : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام الجزء الاول ص ٧٢

( ٣ ) - سورة الزمر آية ٣ .

( ٤ ) - اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الرابع ص ٤٥ .

وفى هذا تقرير لهم أنهم لم يكونوا يسيرون حسب الفطرة فى افراد الخالق بالعبادة له وحده دون سواه ، لان هذه الشفاعة مرفوضة ولا تقربهم من الله ، بل تكون سببا فى ابعادهم منه وفى ادخالهم النار ،لان الطريق الى الله واضح لا يحتاج الى وساطة أو شفاعة .

عقيدة التشبيه فى اليهودية :-

بنو اسرائيل هم أتباع موسى عليه السلام من نسل الاسباط الاثنى عشر أبناء يعقوب وقد اختلف فى تسميتهم يهودا فقيل ان كلمة يهود مشتقة من هاد الرجل يهود اذا رجع وتاب لقول موسى عليه السلام ( انا هدنا اليك ) (١) .

وقيل انما سموا يهودا نسبة الى أحد أبناء يعقوب . وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا عن الاسلام وحالوا عنه وعن دين موسى أيضا ، وقيل لانهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركنا حين أتى الله موسى التوراة ، وبالجملة فان هذه المعانى تنطبق عليهم وتفرق بينهم وبين النصارى وأصبح الاسم علما يعرفون به .

ولقد أكثر القرآن الكريم الحديث عنهم وعن مواقفهم المخزية مع أنبيائهم ومع الدعوة الاسلامية بعد انتقالها من مكة الى المدينة .

وقد أخزى الله هؤلاء اليهود ودمر عليهم مابنوا وأخلى أيديهم من كل ماجمعوا فطهر دار الاسلام من أرجاسهم .

وهؤلاء اليهود الذين لا يتعاملون ولا يؤمنون الا بالماديات والمحسوسات فى كل شىء حتى الاله عندهم لايقبلون أن يروه فى جلال عظمته ونفوذ سلطانه وسعة علمه وروعة حكمته ، بل انهم ليرون الاله فى صورة مجسدة تتمثل فى شخص انسان مثلهم ، وان كان أشد منهم قوة وأوسع حيلة ، وان كان يغيب عنهم حينا ، فانه يلقاهم فى كثير من الاحيان فى صورته البشرية ويتحدث اليهم ويؤاكلهم ويقضى حوائجهم .

---

(١) - سورة الاعراف آية ١٥٦

فسهم يريدون بهذا تشبيه الخالق بالمخلوق ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، حتى طلبوا الى موسى أن يجعل لهم الها ماثلا فى أعينهم يعبدونه كهؤلاء الذين يعبدون الاصنام . وفى هذا يقول الله تعالى : ( وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها ) (١) . وقال تعالى : ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ) (٢) .

تشير هاتان الايتان الى ضلال بنى اسرائيل واتخاذهم الاصنام آلهة من دون الله وتشبيهها به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

انها طبيعة بنى اسرائيل التى ماتكاد تستقيم خطوة حتى تلتوى عن الطريق ، لقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم الها يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم فصدهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردهم ردا شديدا .

فلما خلوا الى أنفسهم ورأوا ذلك العجل الجسد طاروا اليه وتهافتوا عليه ولم يتدبروا حقيقة هذا العجل الذى صنعه لهم واحد منهم وانها لصورة زرية للبشرية التى كان يمثلها القوم ، صورة يعجب منها القرآن الكريم فهو يعرضها على المشركين فى مكة وهم يعبدون الاصنام . (٣) .

عقيدة التثليث عند النصارى :-

النصارى هم أتباع المسيح عليه السلام وهو آخر نبى مبعوث لبنى اسرائيل خاصة مكمل لرسالة موسى عليه السلام ، فقد جاءهم موسى عليه السلام بالشريعة التى حملتها التوراة وجاءهم عيسى عليه السلام بالانجيل الذى لم يحمل شريعة وانما حمل وصايا وآدابا يراد بها اخراج اليهود مما كان قد ركبهم من عتو وفساد اذ وقع فى يقينهم أنهم شعب الله المختار .

---

(١) - سورة الاعراف . آية ١٣٨ - ١٤٠ . (٢) - سورة الاعراف . آية ١٤٨ .
(٣) - راجع عبد الركيم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ١٥٩ . سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الثالث ص ١٣٧٣ .

ولقد دخل فى المسيحية بعد موت المسيح رجل يدعى بولس ، وأدخل فيها مايخالف دعوة المسيح ووصاياه ولم يكتفِ بهذا بل انه ادعى قيام المسيح من الموت بعد صلبه كما زعم اليهود من أتباعه وقال بالتثليث والصلب والقيامة وتحريم الختان وحِل أكل لحم الخنزير وهذه الاشياء كلها مخالفة لما جاء فى نص التوراة التى هى شريعة المسيح وأتباعه .

أما التثليث وهو مايعرف عند المسيحيين بالاب والابن وروح القدس يعنون بذلك أن هذه ثلاثة أقانيم أو صفات لله .

فالمسيح هو الله ظهر فى صورة الابن وهو فى نفس الوقت نفسه الاب وروح القدس وقد سجل الله عليهم هذا الافتراء الكاذب فى آيات كثيرة خاصة فى العهد المدنى . ( ١ ) .

---

( ١ ) - عبد الركيم الخطيب : الدين ضرورة حياة الانسان ص ١٧٣ - ١٧٩ .

سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٨٦٤ — ٨٦٥ .

## بيـــان وتعقيـــب

ان عناصر العقيدة الاسلامية الاساسية التى بعث بها الله جميع رسله وناط بهـــا سعادة البشر فى الدنيا والاخرة ، يمكن ارجاعها الى أسس ثلاثـــة :- وهى الايمـــان بالله ، والايمان بالرسل ، والايمان باليـــوم الاخـــر على ماكان من العمل الصالـــح الموجب لهذا الايمان كما جاء ذلك فى مواضـــع كثيرة فى القرآن الكريم وبينته السنة المطهرة فعن عباده بن الصامت رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من شهـــد أن لا الـه الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسولـــه وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكـان عليـه من العمل)(١) . أخرجه الشيخان والترمذى .

فى هذا الحديث النبوى الشريف : يوضح لنا الرسول الكريم ثلاثة مقاصد رئيسيـــة هى أصول العقائد الدينية التى بها النجاة فى الاخرة والسعادة فى الدنيا لمن تمسك بهـا وسار على نهجها ، والتزمها قولا وعملا فى حياتـــه .

فالمقصد الاول هو الايمان بالله تعالى ومعرفة صفاته والعلم بها ومايجب له من الخضوع والطاعة والعبادة بجميع أنواعها وحيث أن معنى القدر علم الله القديم بما هو كائن فيمكـن ادخاله فى الايمان بالله لان مرجع ذلك اليه وحده وكتابـة هذا كلـه فى اللوح المحفوظ صادر منه وهو من عالم الغيب .

والمقصد الثانى هو الايمان بالرسل الذى يدخل فيه ضمنا الايمان بالوحى المنزل عليهم وهو الكتب ويحاملى هذا الوحى اليهم،واكتفى فى الحديث بذكر رسولنا محمد صلى اللـــه عليه وسلم لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع الرسل لانه مصدق لهم وداع فى صلب دعوتـه الى الايمان بهم جميعا ، وأما ذكر عيسى وروده لاقتضاء ظروف خاصة بذكره وهى اختلاف

---

(١) -أنظر صحيح البخارى الجزء الرابع -٤٧ ص ١٣٦ باب قوله عز وجل : (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ) . صحيح مسلم الجزء الاول ص٣٣ . من حديث الرسول لعبد الرحمن الزبيدى الشافعى : تيسير الوصول الى جامع الاصول الجزء الاول ص ١٠ . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخـــان الجزء الاول ص ١٠ . حديث رقـــم ١٧ .

أهل الكتاب فى شأنه ،فالنصارى رفعوه الى درجة الالوهية ، واليهود وضعوه دون مرتبة الرسالة فلزم التنبيه على حقيقة الامر منه وأنه عبد الله ورسوله وهو أمر مشترك بينه وبين سائر الرسل .

والمقصد الثالث : هو الايمان باليوم الاخر وما فيه من البعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار ،وأكتفى فى الحديث أيضا منه بذكر أصلية العظيمين وهما دار الثواب ، ودار العقاب لان الباقى يعتبر وسائل ومقدمات للوصول اليهما ، فالايمان بها تابع للايمان بهما .

فهذه المقاصد الثلاثة تعتبر أهم عناصر العقيدة الدينية اجمالا وتلك العناصر السابقة تفصيلا فمن حصلها وعمل بها خالصا من قلبه موقنا بها استحق الجزاء الموعود عند الله تعالى بجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين (١) .

بعد عرض عناصر العقيدة الاساسية نرى أن استقرارها فى أعماق النفس يجعلها عزيزة فلا تذل ، قوية فلا تخاف ولا تهاب أى قوة أو سلطان الا قوة الله وسلطانه وجبروته ولا تخضع ولا تذل الا لله سبحانه . بهذه العقيدة المتينة أضحى الرعيل الاول من صحابة الرسول الكريم يعيشون بحسهم وأرواحهم بل أن أجسادهم تركوها تعذب وتهان رخيصة لله تعالى .

ولنأخذ نموذجا حيا ومثلا فريدا من نوعه فيما لاقى من العذاب والاهانة فى بداية الدعوة الاولى حينما أقر بالوحدانية لله الواحد والذى أخذ يردد ها صباح مساء دون انقطاع عنها .

---

(١) - محمد رشيد : الوحى المحمدى ص ١٦٨ — ١٨٤ .

الدكتور محمد عبد الله دراز : المختار من كنوز السنة ص ١٠٥ — ١١٥ .

سعيد حوى : الاسلام ص ٢١— ٣٠

قال ابن اسحق : " وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامه وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له ألا والله لا تزال هكذا حتى تموت وتكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء " أحد أحد " (١) .

وهكذا فان الايمان اذا صادف شغاف القلب واستقر فيه وعرف ربه حق المعرفة يهون فى سبيله كل غال ونفيس كما حصل ذلك من صحابة رسول الله . فأما بلال فهانت نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا فى عنقه حبلا من ليف فدفعوه الى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين أخشبى مكة فاذا ملوا تركوه (٢) .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن استقرار الايمان فى مشاعر الناس وتصرفاتهم يتطلب من الفرد المسلم أن يجاهد فى سبيله ليحصل على الهداية والهدى من الله كما وعد ذلك به ربنا فى قوله تعالى : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) (٣) .

---

(١) - ابن هشام : السيرة النبوية : تحقيق ثلاثة من الاساتذة الجزء الاول ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(٢) - ابن الاثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة الجزء الاول ص ٢٠٩ .

محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة الجزء الاول ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

الدكتور محمد الطيب النجار : القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ص ٩٤ .

(٣) - سورة العنكبوت . آية ٦٨ .

وبهذه الطريقة الفذة أخذ الرعيل الاول سبيلهم الى الله فسادوا الدنيا ووضعوا منهجا لمن أراد أن يقتفي أثرهم فينالوا مثل ماناالوا ويحققوا مرادهم دنيا وأخرى .

وهكذا كانت العقيدة وكانت معرفتهم بربهم هي أداة التربية الاولى التي ربا هم بها القرآن ، انها ليست فكرة وليست وجدانا مستكنا في الضمير ، ولكنها منهج حياة بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان واقعية جدا شعورية وفكرية وسلوكية وفي كل اتجاه لاسيما في تقويم التربية النفسية وعلاجها . (١) .

---

(١) - محمد قطب : أنظر دراسات قرآنية ص ٤٩٣ - ٤٩٥ .

# الفصـــــل الثالـــــث

## التربيـــــة النفسيـــة

تمهيـــد :ـ

لقد كان للعقيدة الدينية في نفوس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر بعيد المـدى حيث رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على يديه الشريفتين وأخرجهم الى الدنيا بنفـوس وقلوب غير ما كانوا عليه سابقا حتى برهنوا للعالم كله بهذه التربية النفسية التي كانوا عليها وهـذه الروح السمحة أنهم أهل لتحمل رسالة الله ونشر دعوته وحتى أخذوا على أنفسهم القيام بحمايـة هذا الدين الذي آمنوا به وآن لاقوا من وراء ذلك المحنت والتنكيل والعذاب .

كانت التربية الاولى في مكة ضبطا للنفس وصبرا على الاذى وتبليغا للدعوة واعدادا للعـدة مع حبس دوافع الشهوة وكف حدة الغضب ، أما التربية الثانية بالمدينة فهي تبنى على الاسـس السابقة ثم تدفع المؤمنين قويا الى الانطلاق في سبيل الله للضرب على أيدي أعداء اللـه بقوة لاتعرف الضعف وعزيمة لاتعرف الوهن .(١) .

ان الانسان مع أنه يحمل الاستعداد النفسي بأن الله قد أودع فيه من القوة المدركـة الواعية التي يميز بها بين الخير والشر ، وفي استطاعته باختياره أن يستخدم هذه القوة في تطهير نفسه وتنمية استعداد الخير فيها حتى تتغلب على استعدادها للشر فتظفر بالفلاح وفي استطاعتـه كذلك أن يخفي هذه القوة ويلقها في غشاوة الدنس فيبوء بالخيبة (٢) . قال تعالى : ( قد أفلـح من زكاها وقد خاب من دساها ) (٣) .

فهذه النفس التي لها استعداد لقبول الحق والاذعان له والكف عن الباطل وتركـه لهـي جديرة بأن تربى تربية نفسية صحيحـة ، متمشية مع الفطرة الانسانية في البساطة وعدم التكلـف مؤمنة باللـه ربـا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

---

(١) ـ الدكتور محمد أمين المصري : سبيل الدعوة الاسلامية ص ١١٣ .

(٢) ـ مناع القطان : مقال عن النفس السويـة في ظـل العقيدة الاسلاميـة في مجلة أضواء الشريعة العدد الثالث ص ٢٥ ١٠ محرم ١٣٩٢ هـ .

(٣) ـ سورة الشمس آيـة ٩ ـ ١٠ .

ولكي نصل الى الغرض المنشود في التربية النفسية التي نقصدها أن تتحقق اعادة نظـــر في الفرد المسلم وتنمية الجوانب الروحية فيه ، وتهذيب النفس تهذيبا يقوم على اشباع حاجاتهـــا الضرورية والترقي بها الى درجات عليا من الفضائل وحينئذ يمكن أن تؤدي رسالتها ، وتصـــل بالانسان الى آفاق المحبة والتضحية والنضال من أجل الحق والمثل العليـــا .

فما هي هذه النفس التي لا يمكن أن تكون فاضلة الا عن طريق التربية ولأي شيء أوجـــدت فينا ، وما هي الغاية التي ستصل بنا اذا قدمناها على وجه صحيح ، وما هي العقبات التي تقف في طريقها لكي تدرك هدفها وتتمكن من التغلب عليها بكل الوسائل والطرق حتى تتزكى وتتطهـــر ولا تترك ترعى في مراتع الشهوات واللذات .

قال تعالى : ( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خـــاب من دساها ) (١) .

تلك هي النفس التي تحدث عنها القرآن الكريم وأقسم بها رب العالمـــين ، نريـــد أن ننزع عنها الحجب التي تمنع وصول الحق اليها لتصل الى العناية الربانية والهدايـــة القرآنيـــة .

---

(١) ـ سورة الشمس آيـــة ٧ ـ ١٠

## معنى النفـــــس فى القـــرآن

لقد سبق أن قلنا فى الفصل الاول (١) بأن القرآن لم يحفل بتعريف القضايا التى يعالجهـا ويطرحها بالشكل الذى حصل بعد ذلك ، حيث أن همته كانت تتجـه الى البناء والتربية ليبنـــى جيلا مؤمنا بربـه متوجها اليـه فى جميع أحواله بعيدا عن أى خلاف كما حصل لمعنى النفـــس بعد دخول الفلسفة وأقوالهم فيها (٢) . وحتى لا أحرم البحث منها فلم أجعله فى طلبه لانها تعتبـر تكميلية ولم يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته لها أيضا .

لقد أراد القرآن أن يرسى ويغرس فى قلوب الصحابة فى تلك الفترة المكية الاحساس بمسؤوليـة الفرد المسلم عن جميع أعماله التى تحدث فى الحياة الدنيا ومحاسبته عليها أمام الله عز وجـــل يوم القيامـة بشهادة النفس عليـــــه .

قال تعالى : ( وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقـرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) (٣) .

---

(١) ـ أنظـــر صفحـــــة ٨٨ .

(٢) ـ لقد اختلف الناس فى تعريف النفس على وجوه عديدة فكل عرفها من وجهة تعلقها بما يتبين له ويظهر : ١ ـ فقال ارسطاطاليس أنها جوهر بسيط منبث فى العالم كله من الحيوان على جهة الاعمال له والتدبير وأنه لا تجوز عليه صفة قلة ولا كثرة وهى غير منقسمة الذات والبنيـة بل فى كل حيوان بمعنى واحد لا تغـــــير .

(٢) ـ وقالت طائفة من الثنوية : هى معنى موجود ذات حدود وأركان وطول وعرض وعمـــق وأنها غير مقارنة فى هذا العالم لغيرها مما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق وكل واحد منها يجمعها صفة الحد والنهايـــــة .

(٣) ـ وقال ابو الهذيل : هى معنى غير الروح والروح غير الحياة والحياة عنده عرض وزعم أنه قد يجوز أن يكون الانسان فى حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة واستشهـد على ذلك بقوله تعالى : ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامهـــــا ( سورة الزمـــر آيـــــة ٤٢ ) .

٤ ـ وقال جعفر بن حرب وحكاه الاشعرى بأن النفس عرض من الاعراض يوجد فى الجسـم وهو أحد الالات التى يستعين بها الانسان على العقل كالصحة والسلامة وما أشبههـــا وأنها غير موصوفة بشىء من صفات الجواهر والاجسام . (٥) ـ أما قول القاضى ابى بكـــر ابن الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية : هى النسيم الداخل والخارج بالتنفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فقط وهو غير النفس ( الروح لابن القيم الجوزيه ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ) . ويقول حجة الاسلام الغزالى : النفس لها معنيان . أحدهما : أن يراد به المعنى الجامـــع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان . والثانى : هى اللطيفـــة الربانيـــــة الروحانية التى هى الانسان بالحقيقة ، وهى نفس الانسان ذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة باختلاف أحوالها ( احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى الجزء الثامن ص ١٣٤٥ ) .

وقال تعالى : ( علمت نفس ما أحضرت ) (١) . وقال تعالى : ( علمت نفس ما قدمت وأخرت ) (٢) وقال تعالى : ( اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ) (٣) .

تشير هذه الايات الكريمة بأن النفس ستكون شاهدة على جميع أعمال الانسان أمام الله عز وجل لانها تشاهد وتراقب كل تصرف يحدث منه ، وهي مخلوقة ومربوبة لربها تؤدي ما يطلب منها بأمانة وصدق ، ويقول ابن كثير : فقد عدل الله من جعلك حسيب نفسك (٤) .

وبعد أن جعل الله النفس حسيبة على الانسان منحها الله من فضله ورحمته وفتح لها باب الهداية بقوله تعالى : ( من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ....(٥) . فيخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى اثر النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه (٦) .

بهذا يمكن لها أن تصفو وتزكو وتتطهر وتتدرج في صفائها ونقائها وشفافيتها حتى تصل الى الروحانية الملائكية فتكون هي والروح شيئاً واحداً ، أما اذا انتكست وغلبتها الناحية الشهوانية والغضبية فتفارق بذلك الروح وتبتعد عنها ، وهذا كله يحصل لها في الحياة الدنيوية ، أما بعد الموت والحياة الاخرى فهي تفارق الجسد وتكون مستقلة عنه ولهذا قال ابن القيم : فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح (٧) . وذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر ، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي اما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء .

---

(١) ـ سورة التكوير آية ١٤ (٢) ـ سورة الانفطار آية ٥ .

(٣) ـ سورة غافر آية ١٧ .

(٤) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٢٨ .

(٥) ـ سورة الاسراء آية ١٥ .

(٦) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٢٨ .

(٧) ـ ابن القيم الجوزية ـ الروح ـ ص ٢٤٢ .

كما أن الماء وهو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فاذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماءا أو خمرا ولا يقال له ماء حينئذ الا على سبيل المجاز وكذا الايقال للنفس روح الاعلى هذا النوع وكذا لا يقال للروح نفس الا باعتبار ماتؤول اليه فحاصل ماتقول أن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتحادها بالبدن من وجه لا من كل وجه (١) .

ولما رأيت النفس والروح من الامور التي خفيت حقيقتها على الناس ولم ولن يصل الى كنهها أحد لانها سر من أسرار الخالق جل قدرته .

وأكتفي بهذا القدر في تعريفها وأنها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ليرجعوا اليه دائما ، ويقدروا حق هذه النعمة ويشكروها صباح مساء لانه صاحب الحمد والشكر والفضل الذي بيده الامر كله ، فاذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فلا راد لامره وهو على كل شيء قدير .

العلاقة بين النفس والروح :-

مما سبق نلاحظ أن العلاقة التي بين النفس والروح في الحياة الدنيوية علاقة تلازم لان بهما سر الحياة التي يحياها الانسان ويعيش بها .

كما أن ليس في قدرة الانسان أن يدرك ذلك السر المكنون مهما حاول سوى ادراك آثاره ومظاهره من الروح أو الريح أو النفس الذي أكنه الله ومنحه اياه ليصل الى الخالق الموجد المبدع في صنعته .

ومن الملاحظ أن النفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها ، كقوله تعالى : ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) (٢) . وقوله تعالى : ( يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ) (٣) . وقوله تعالى : ( كل نفس بما كسبت رهينة ) (٤) . وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى : ( يا أيتها النفس المطمئنة ) (٥) فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وهي السر الجامع بينهما ، ولذا لم يكن الحديث يدور عنهما في فترة نزول القرآن بمكة باعتبارهما كائنين منفصلين عن البدن ولهما حياة مستقلة وانما حصل ماحصل من الخلاف بعد صدر الاسلام

---

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٦١ .

(٢) - سورة النحل آية ٧٢ (٣) - سورة النحل آية ١١١ .

(٤) - سورة المدثر آية ٣٨ .

(٥) - سورة الفجر آية ٢٧ .

حينما اختلط المسلمون بغيرهم من الامم التى دخلت فى الاسلام بكثير من شطحاتها وتهويماتها وتأويلاتها الصوفية والشاعرية وحينئذ نشأ حديث انفصال الروح عن البدن وأنها هبطت اليه من عالم المثل لتسجن فيه وتعذب مدة ثم تطلق لتعود الى مصيرها ومقرها كما بين ذلك ابن سينا فى قصيدته التى فى النفس .

والذى أراه أنه لا يوجد انفصال بين الجسم والروح أو النفس فى الحياة الدنيوية ولكنهما متلازمان لان سر الحياة يشملهما معا ، وأنه لا انفكاك بينهما فان الانسان عبارة عن البدن والروح معا بل هو بالروح أخص بالبدن وانما البدن مطية للروح كما قال أبو الدرداء : انما بدنى مطيتى فان رفقت بها بلغتنى وان لم أرفق بها لم تبلغنى (١) .

والانسان الذى يحمل هذه الروح أو النفس قال عنه رب العزة : ( هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ) (٢) . فالنفس الواحدة هى الروح وقال تعالى : ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ) (٣) . والمتوفى المتوفى هى الروح ، كما جاء فى صحيح مسلم عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال ( ان الروح اذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال : لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقدمون ثم قال : اللهم أغفر لابى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه ) (٤) . وروى مسلم أيضا عن العلاء بن يعقوب قال : أخبرنى أبى أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره قالوا بلى : قال فذلك حين يتبع بصره نفسه ) (٥) .

---

(١) ــ ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الاسلام . مفصل الاعتقاد المجلد الرابع ص ٢٢٢ جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم وابنه محمد .

(٢) ــ سورة الاعراف آية ١٨٩ .

(٣) ــ سورة الزمر آية ٤٢ .

(٤) ــ صحيح مسلم الجزء الاول كتاب الجنائز باب فى اغماض الميت ص ٣٦٦ــ٦٧

(٥) ــ صحيح مسلم الجزء الاول كتاب الجنائز ، باب فى شخوص بصر الميت يتبع نفسه ص ٣٦٧

وبما أن الحديث الاول سمى مايفارق الانسان عند موته بالروح والحديث الثانى سماه نفسا يتضح أن كليهما سر حياة الانسان وبقائه وهما بمعنى واحد أى أن النفس هى الروح (١) .

## أنواع النفوس وحالاتها :ـ

اهتم القرآن الكريم بالنفس الانسانية وجعلها مناط التكليف ومحل المسؤولية للاعمال التى تقوم بها ولفت نظرها اليه وانها تجزى على الخير والاحسان جنة وغفرانا ، وعلى الشر والعصيان نارا وخسرانا . والنفس الانسانية ماهى الا نفس واحدة ولكنها توصف بأوصاف ثلاثة مختلفة باختلاف أحوالها وهذه الاحوال هى :ـ

١ ـ النفس المطمئنة :ـ وهى النفس الراضية الصابرة لقضاء الله وأمره والخوف من عقابه فهى تخشى وتخاف أن تقترف أى ذنب فيه معصية لله ورسوله وتضطرب منه وتكون فى غاية السكينة والاطمئنان اذا قامت بعمل يرضى الله عنه ورسوله وتطمئن اليه ، ولذلك تسمى النفس المطمئنة قال تعالى : ( ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ) (٢) . قال مجاهد : الراضية بقضاء الله التى علمت أن ماأخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها ، وقال مقاتل : هى الامنة المطمئنة(٣) .

٢ ـ النفس اللوامة :ـ وهى النفس التى تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة ربه وهى التى تحثه دائما على فعل الخير وتزجره وتعترض عليه عند اقدامه على عمل مشين ، حتى تبعده عنه وتقربه الى مولاه ، وهى التى تسمى بالنفس اللوامة ، قال تعالى : ( ولا اقسم بالنفس اللوامة ) (٤) .

---

(١) ـ ابن تيمية : راجع مجموع فتاوى شيخ الاسلام بفصل الاعتقاد ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، المجلد الرابع .
عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ص ٦٢ .
عبد الكريم الخطيب : قضية الالوهية بين الفلسفة والدين ص ١٥٢ ـ ١٥٥ .
محمد الفقى : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ص ١٩ ـ ٢١ .

(٢) ـ سورة الفجر آية ٢٧ ـ ٣٠ .

(٣) ـ محمد بن على بن الشوكانى : فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير . الجزء الخامس ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

(٤) ـ سورة القيامة آية ٢ .

قال مجاهد : هى التى تلوم على مافات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر لم تعمله وعلى الخير لم لم تستكثر منه ٠(١) ٠

٣ ــ النفس الامارة بالسوء : ــ وهى النفس التى تقترف السيئات وتدعو اليها وتذعن لها وتعمل حسب مقتضى الشهوات ودواعى الشيطان ووساوسه حتى تلقى بصاحبها فى النار أو تقربه اليها وفى كل ذلك تأمره وتزين له الطريق ولذلك سميت بالنفس الامارة بالسوء ٠ قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز : ( وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ) (٢) ٠ قال ابن جرير الطبرى يقول يوسف وما أبرئ نفسى من الخطأ والزلل فأذكيها فان النفس تأمر باتباع الهوى (٣) ٠ وقال ابن كثير : تقول المرأة : ولست أبرئ نفسى فان النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته (٤)

فالنفس اذن ليست معصومة عن الخطأ والزلل وارتكاب المعصية صغيرة كانت أم كبيرة سوى من لحقت بهم رحمة الله وعصمهم من ذلك ، وكان القصد من ايراد هذه النفوس هو الوقوف والتنبيه على بعض أحوال النفس المطمئنة واللوامة والامارة بالسوء وبيان مايتميز به بعضها عن بعض وأفعال كل واحدة منها واختلافها ومقاصدها ونياتها وفى ذلك تنبيه على ماوراءه وهى نفس واحدة تكون أمارة وتكون لوامة تارة ومطمئنة أخرى ، وأكثر الناس الغالب عليهم النفس الامارة ، وأما المطمئنة فهى أقل النفوس البشرية عددا وأعظمها عند الله قدرا ومكانة وهى التى يقال لها يوم القيامة وتخاطبها الملائكة ( ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ) (٥) ٠

---

(١) ــ محمد على بن محمد الشوكانى : فتح القدير الجامع بين الرواية والدراسة فى علم التفسير الجزء الخامس ص ٣٣٥ ٠

(٢) ــ سورة يوسف آية ٥٣ ٠

(٣) ــ ابن جرير الطبرى : مختصر تفسير الطبرى الجزء الاول ص ٤٠٢ ٠ تحقيق محمد على الصابونى والدكتور صالح أحمد رضا ٠

(٤) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص ٤٨١ ٠ وعبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين فى الغزالى بوجه خاص ص ٨٤ ٠

(٥) ــ ابن القيم الجوزيه : الروح ص ٢٩٤ ــ ٣٠٦ ٠
أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين الجزء الثامن ص ١٣٤٥ ٠

(٦) ــ سورة الفجر آية ٢٨ ــ ٣٠ ٠

عناصر التهذيب النفسى :-

بعد أن وقفنا على هذه النفوس الثلاثة التى أعلاها النفس المطمئنة الراضية بقضاء الله وقدره وبها يستطيع الانسان أن يهذب نفسه تهذيبا صحيحا ويزكيها تزكية سليمة ترتفع عن ركونها الى حطام الدنيا وملذاتها وتسمو وتطهر وتصل الى الصفاء والنقاء فتبلغ الدرجات العلى والكمال دنيا وأخرى وتنتفع بالتهذيب والسمو الروحى وتتسع أفقها للتعاليم الدينية والاسرار الكونية والعلاجات الربانية فتتحقق بالاخلاق المرضية وتتجمل بالصفات المحمودة التى ينبغى أن تكون عليها وتقوم بها فى هذه الحياة .

ولما كانت الفضائل وأضدادها كثيرة ومتشعبة والحديث عنها سيطول بنا فى البحث لاسيما أن لهذه الفضائل وأضدادها أثراً بينا على النفس فى اصلاحها أو افسادها، سوف أقتصر الحديث على أهمها مبتدئا بالفضائل باعتبارها هى الاصل والمقصودة بالذات ليمكن أن تؤدى الانسانية رسالتها فى هذه الحياة وتقوم بواجبها الذى كلفت بأدائه وأوجدت من أجله ومثنيا بأضدادها التى هى عيوب النفس وما ينبغى التحذير من الوقوع فيه وهذه العناصر هى كما يلى :-

١ - المجاهدة :- معناها فى اللغة بذل الوسع والطاقة وفعله جاهد .

قال ابن الاثير : قد تكرر لفظ الجهد والجهد فى الحديث وهو بالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وبالضم الوسع والطاقة ، وقيل هما لغتان فى الوسع والطاقة ، فأما المشقة والغاية فالفتح لاغير" (١) .

واختلفت عبارات السلف فى حق الجهاد فقال ابن عباس : هو استفراغ الطاقة فيه وأن لا يخاف فى الله لومة لائم ، وقال مقاتل : أعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال عبد الله بن مبارك : هو مجاهدة النفس والهوى (٢) .

---

(١) - ابن منظور : لسان العرب - المجلد الثالث ص ١٣٢ .

(٢) - ابن القيم الجوزيه : زاد المعاد فى هدى خير العباد الجزء الثانى ص ٤٤ .

يقول ابن القيم : قال تعالى : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) (١) . علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الاربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته ومن ترك الجهاد فانه من الهوى بحسب ماعطل من الجهاد (٢) . فطريق المجاهدة يحصل لكل انسان اذا روضت النفس عليه ولكن تختلف بحسب اختلاف أحواله .

وهنا أربعة أمور تستلزم مجاهدتها ورياضتها حتى تستقيم وتهتدى للتى هى أقوم وعلى رأسها النفس التى تنازعه ، فيجب عليه مجاهدتها ودعوتها لتفعل ماأمرت من الطاعة والايمان والاستقامة لله رب العالمين وتترك مانهيت عنه من البدع والانحرافات والخرافات وكل مايشغلها عنه سبحانه حتى لاتشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وتترك فواحش المعاصى ومهلكاتها ولهذا كان التوحيد والايمان والاعمال الصالحة أعظم ماتزكو به النفس ، وكان الشرك والمعصية والاعمال الفاسدة أعظم مايدسيها . قال تعالى : ( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) (٣) .

" والقرآن بواقعية منهجه فى معالجة النفس الانسانية يأخذ الانسان كما هو ويخاطبه بالطريقة التى يعلم الله سبحانه وتعالى أنها هى التى تؤثر فيه وتصل الى أعماق قلبه فتهزه فيستجيب . ومن هنا يحدثه عن النعيم الحسى والعذاب الحسى مرة ، وعن النعيم النفسى والعذاب النفسى مرة ويزاوج بينهما مرات "(٤) . ومتى آمنت النفس بربها واستقرت الطمأنينة فى قلبه أذعنت له وصدقت بأن مخالفة الشهوات والهوى هى الطريق الى الله عز وجل . قال تعالى : ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ) (٥) . وذلك لان الله أمر الانسان أن ينهى النفس عن الهوى وأن يخاف مقام ربه فحصل له من الايمان مايعينه على الجهاد فاذا غلب كان لضعف ايمانه فيكون مفرطا

---

(١) - سورة العنكبوت آية ٦٩ (٢) - ابن القيم الجوزيه : الفوائد ص ٥٩

(٣) - سورة الشمس آية ٧ - ١٠ (٤) - محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٨١

(٥) - سورة النازعات آية ٤٠ - ٤١ .

يترك المأمور ومن تبع هواه وأعرض عن الحق فقد باء وخسر وحق عليه الضلال كما قال تعالى : ( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ) (١)

وهناك عدو خبيث لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد أنفاسه فقد حذر الله منه فى آيات كثيرة قال تعالى : ( ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ) (٢) . وقوله تعالى : ( ان الشيطان للانسان عدو مبين ) (٣) . وقوله تعالى : ( يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ) (٤) .

فى هذه الايات يبين الله تعالى عداوة ابليس لابن آدم ومبارزته له فعليه دائما معاداته ومخالفته وتكذيبه لانه غرار كذاب أفاك أثيم ، يتمنى الكيد له وادخاله الى عذاب السعير (٥) .

وهناك حقيقة يجهلها الناس أو يتجاهلونها بأن هذه الحياة الدنيا التى يحبونها ويعيشونها هى متاع قليل وأجلها محدود فلا يغتر العاقل بها وبما يلاقيه فيها من هذه النعم، لانه لو تدبر القرآن الكريم وقرأ أوصاف الدنيا وما جاء فى ذكرها لزهد بها لانها ما هى الا معبر وممر للاخرة التى هى دار القرار وهى خير من الاولى (٦) . وقال الله تعالى فى شأنها : ( وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو والدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ) (٧) . وقال تعالى : ( يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ) . انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ) (٨) .

---

(١) - سورة القصص آية ٥٠ . (٢) - سورة فاطر آية ٦ .

(٣) - سورة يوسف آية ٥ . (٤) - سورة الاعراف آية ٢٧ .

(٥) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٥٤٧ .

(٦) - أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين الجزء الاول ص ١٤٦٢ . ابن تيمية : مجموع شيخ الاسلام المجلد العاشر ص ٦٣٢ - ٦٣٦ . محمد الفقى : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ص ١٥٦ - ١٥٩ . (٧) سورة الانعام آية ٣٢ .

(٨) - سورة يونس آية ٢٣ - ٢٤ .

يقول سيد قطب رحمه الله : ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس الا متاعها حين يرضون بها ولا يقفون عندها ولا يتطلعون منها الى ما هو أكبر وأبقى وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس ويضيعون الاخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع ، فهي لا أمن فيها ولا اطمئنان ولا ثبات فيها ولا استقرار ، ولا يملك الناس من أمرها الا بمقدار (١) . فاذا عرف هذا فان جهاد النفس أربع مراتب هي : ـ

أحدها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لافلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين .

الثانية : ان يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : ـ أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله واذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فاذا استكمل هذه المراتب الاربع صار من الربانيين ، فان السلف مجموعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء ، وأما جهاد الشيطان فمرتبتان : ـ

احداهما : جهاده على دفع ما يلقي الى الصبر من الشبهات والشكوك القادحة في الايمان .

الثانية : : جهاده على دفع ما يلقي عليه من الارادات والشهوات ، فالجهاد الاول يكون بعده اليقين ، والثاني بعده الصبر . قال تعالى : ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) (٢) . فأخبر أن امامة الدين انما تنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والارادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات (٣) .

فحري بالفرد المسلم متى عرف شيئا عن نفسه ومايعتريها ويلابسها من أمراض شهوة أو شبهة أن يجاهدها ويمضي بها الى مرضاة الله والوقوف ببابه والتذلل له وذلك بأن يكون كثير المحاسبة لها .

---

(١) ـ سيد قطب : في ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٧٧٥ .

(٢) ـ سورة السجدة آية ٢٤ .

(٣) ـ ابن القيم الجوزيه : زاد المعاد في هدى خير العباد الجزء الثاني ص ٤٤ .

٢ــ المحاسبة :

لكل داء دواء ولكل مرض علاج يقلل منه أو يذهبه نهائيا فيصبح الانسان صحيح البدن معافى ، والنفس الانسانية جزء من البدن فيصيبها مايصيب الانسان من أمراض تتعلق بها فتبعده عن خالقه فيخسر حياته دنيا وآخرة .

ولذا من واجب العاقل أن يتنبه لها ويعمل حسابا ومقارنة لرصيدها حتى تفوز في الدنيا والاخرة وتلقى ربها راضية مرضية ، فكما أن المحاسبة تتم بين كل شريك وشريكه ليقف كل واحد منهما على ماله من الربح وما عليه من الخسارة في تجارتهما فكذلك شأن المسلم بالنسبة لنفسه .

فمعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فرأس المال في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل ، وخسرانه المعاصي وليحاسبها أولا على الفرائض .(١) .

فهذه المحاسبة مطلوبة من كل انسان في استعراض عمله آخر اليوم فان عملت خيرا حمد الله أن وفقه لذلك ، وان كان غير ذلك طلب التوفيق والهداية والصفح والغفران لمن بيده ذلك وهو الله سبحانه ، والى هذا المعنى أشار الامام حسن البنا بقوله : هو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم فان وجد الا خيرا فليحمد الله ، وان وجد غير ذلك فليستغفر وليسأل ربه ثم يجدد التوبة وينام على أفضل العزائم .(٢) .

ومحاسبة النفس نوعان :

نوع قبل النوم : وهو أن يقف عند أول همه وارادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه . قال الحسن رحمه الله ــ رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى ، وان كان لغيره تأخر " .

---

(١) ــ ابن الجوزي : مختصر منهاج القاصدين ــ اختصار ابن قدامه ص ٣٩٨ .

محمد الفقي : النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الاسلامية ص ٣٧٠ .

(٢) ــ حسن البنا : المأثورات ص ١٠١ .

ونوع بعد العمل وهو ثلاثة أنواع : ـ

أحدهما : محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذى ينبغى لوجه الله تعالى فى الطاعة ستة أمور هى : ـ

١ ـ الاخلاص فى العمل ـ ٢ ـ والنصيحة لله فيه . ٣ ـ ومتابعة الرسول فيه . ٤ ـ وشهود مشهد الاحسان . ٥ ـ وشهود منة الله عليه . ٦ ـ وشهود تقصيره فيه بعد ذلك . فيحاسب نفسه : هل وفى هذه المقامات حقها ؟ وهل أتى بها فى هذه الطاعة ؟ .

الثانى : أن يحاسب نفسه على كل عمل تركه خير له من فعله .

الثالث : أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لم فعله ؟ وهل أراد به الله والدار الاخرة ؟ فيكون رابحا أو أراد به الدنيا وعاجلها ، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به . (١)

ولاشك أن فى محاسبة النفس عدة مصالح يحصلها الانسان كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غدا اذا صار الحساب الى غيره ، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدا منها : الاطلاع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه ازالته ، فاذا اطلع على عيبها مقتها فى ذات الله تعالى (٢) .

أخرج ابن ابى الدنيا فى محاسبة النفس عن مولى ابى بكر رضى الله عنه قال : قال ابو بكر الصديق "من مقت نفسه فى ذات الله آمنه الله من مقته" كذا فى الكنز الجزء الثانى ص ١٦٢ . وأخرج ابو نعيم فى الحليه الجزء الاول ص ٦٢ عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تحاسبوا فانه أهون عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الاكبر (٣) . قال تعالى : ( يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية ) (٤) .

---

(١) ـ ابن القيم الجوزيه : اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان الجزء الاول ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) ـ نفس المرجع السابق .

(٣) ـ محمد يوسف الكاندهلوى : انظر حياة الصحابة الجزء الثانى ص ٦١٩ .

(٤) ـ سورة الحاقة آية ١٨ .

لفت النظر الى عيوب النفس وأضرارها : ـ

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم ، يبصر أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

أرى كل انسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه

فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه ، فله أربعة طرق : ـ

١ ـ أن يعرف نفسه على عالم بصير بعلوم النفس قد حنكته التجارب والايام مخلص فى نصيحته مطلع على خفايا الافات والعوارض النفسية فيحكمه فى نفسه ويصف له عيوبها ويعرفه طريقة علاجه فيأخذ بنصيحته ويجاهدها على ذلك حتى تستقيم على الهداية والرشد .

٢ ـ أن يلجأ الى صديق صدوق متدين يطمئن اليه ويثق به فيجعله رقيبا على نفسه يلاحظ كل تصرفاته فان يرى منه مايكرهه ينبهه عليه حتى يحذره ويتجنبه . كان عمر لا رضى الله عنه يقول: "رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى" وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ، ما الذى بلغك عنى مما تكرهه ؟ فاستعفى فألح عليه فقال : بلغنى أنك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال : وهل بلغك غير هذا قال : لا فقال أما هذان فقد كفيتكهما .

٣ ـ أن يستفيد من عيوب نفسه ماتتناقله ألسنة أعدائه ومبغضيه عنه فان عين السخط والكراهية تظهر المساوئ وتطلع على أمور دقيقة تخفى على الانسان نفسه ولم يكن ليعرفها الا باظهارها عن طريقهم كما يقول الشاعر فى هذا المعنى :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

ولعل الانسان الذى يريد أن يصلح من شأن نفسه أن ينتفع من هؤلاء الكارهين له والمظهرين لعيوبه أكثر من صديق يثنى عليه ويمدحه ويخفى عليه عيوبه فيقع فى المحظور الذى كان يريد أن يتجنبه ويبتعد عنه .

٤ ـ أن يخالط الناس ويعاشرهم ويغشاهم ، فكل مارأى من فعل يذم عليه الناس ويعابون اتهم به نفسه وأنه قد يصدر منه مثل هذا فما دام مذموما فليحذره لان المؤمن مرآة أخيه وبهذا يرى

من عيوب غيره عيوب نفسه لان النفوس متقاربة فما يقع من غيره يقع منه ويصدر عنه ، فليتفقد نفسه وليحاسبها حتى تزكو وتطهر مما يصيبها من الذنوب والآثام لتصبح نفية طاهرة قريبة من مولاها والدار الاخرة .

فاذا استطاع الانسان الوقوف على عيوب نفسه الظاهرة والباطنة بهذه الطرق الاربعة وكشف الغطاء عنها بالطرق التى تؤدى الى تصفيتها وتنقيتها وصل الى نتيجة محققة متحدة الهدف تلك النتيجة هى معرفة الحق والانقياد النفسى له فالآلات الظاهرة هى الجوارح ، والباطنة هى القلب . أما أضرار أفعال الجوارح الظاهرة فيبدأ من الشره فى الطعام لانه يجر الى الشبع والشبع منبع الشهوات فيتولد منه شهوة الجماع ، واذا طغت شهوة الاكل والجماع وغلبت الانسان أدى به الى الشره فى جمع المال لانه لا يتوصل الى تحصيلها الا بالمال ، ومن طريق جمع المال يتطلع الى الجاه والرياسة لانهما أمران معينان على تحصيل المال ثم طريق محبة الجاه والرياسة يفرز عليه أمور منها الشحناء والتباغض والتنافس والمعاداة والظلم وأخذ حقوق الناس بغير حق ، وهذا هو الذى نعانيه فى زماننا هذا ، فالامر فى بدايته كان بسيطا تافها وهو سد جوع الانسان وشره .

ولهذا عظم النبى صلى الله عليه وسلم أمر الجوع كما أرشدنا الى ذلك لما يترتب عليه ويصل به فى النهاية الى أمر عظيم بالغ الخطورة .

ولما للقلب من أهمية عظمى باعتباره الاية الكبرى من الاعمال الباطنة التى تصدر عنه كالجهل والغفلة والنسيان وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوته والشهوة والهوى واللهو والانتصار للنفس والقيام مع حظوظها وسوء الظن والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس والحسد والغضب والغيظ والعداوة والبغضاء . فيجب توجيه العناية والاهتمام بهذه الامور ليمكن تداركها قبل استفحالها واستعصائها . ومن خلال معرفة الانسان بهذه الاعمال الظاهرة والباطنة التى تصدر عن النفس الانسانية ، يمكنه علاجها وتقويم معوجها وتفادى الاضرار التى تلحق بها وأن تصغى لايات الترهيب والترغيب وتستمتع بما يوجه اليها من التربية والتهذيب اللتين يجعلان النفس دائما تعيش فى طهر ونقاء وصفاء حتى تبلغ غايتها وتصل الى بارئها على اليقين والايمان الخالص به (١) .

---

(١) ــ ابو حامد الغزالى : راجع احياء علوم الدين الجزء الثامن ص ١٤٥٣ ــ ١٤٥٥ .
محمد الفقى : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ص ١٧٥ ــ ١٧٩ .

بيان وتعقيب :

لقد لاحظنا خلال هذا العرض الموجز أن النفس الانسانية قد اختلفت مذاهب الناس في حقيقتها عند تعريفاتهم لها . وأن هناك علاقة وثيقة بين النفس والروح في الحياة الدنيا . أما نظرة القرآن للنفس فانها تنبني على مسؤوليتها لاعمال الانسان أمام الله عز وجل يوم القيامة ، ولما كانت هذه النفس بهذه المكانة بما أودع الله فيها من سر الحياة ووجود الكائنات بها مما جعل الناس يحتارون في حقيقتها وعدم الاهتداء اليها سوى ادراك آثارها المترتبة التي يدركونها ويحسون بها ويعرفون أن لهم خالقا قادرا موجدا لهذه الاشياء التي يرونها فيجب أن يشكروه ويؤدوا ماعليهم من واجب حق الطاعة والانابة والرجوع اليه في كل أمر أو شأن من شؤون حياتهم الخاصة والعامة ، كما يجب عليهم أن يهذبوا هذه النفس ويزكوها ويطهروها من الارجاس والانجاس التي ربما تلحق بها اذا لم ترب أو تنشأ على العقيدة الصحيحة التي تؤمن بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ونبيا ، وتبتعد عن كل رذيلة أو فاحشة مما يغضب الرب وينال منه عليه عذابه وعظيم عقابه فالكيس من دان نفسه وحاسبها في هذه الحياة ، وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولا على الفرائض فان تذكر فيها نقصا تداركه اما بقضاء أو اصلاح ثم يحاسبها على المناهي ، فاذا عرف انه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ثم يحاسب نفسه على الغفلة فان قد كان غفل عما خلق له تداركه بالذكر والاقبال على الله ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت اليه رجلاه أو بطشت يداه أو سمعته أذناه . ماذا أردت بهذا ؟ ولمن فعلته ؟ وعلى أي وجه فعلته ؟ ويعلم أنه لابد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان : ديوان لمن فعلته وكيف فعلته ؟ فالاول سؤال عن الاخلاص والثاني سؤال عن المتابعة . وقال تعالى : ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) (١) . وقال تعالى : ( فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ) (٢) . فاذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين ؟(٣) .

---

(١) ـ سورة الحجر آية ٩٢ ـ ٩٣ . (٢) ـ سورة الاعراف آية ٦ ـ ٧ .

(٣) ـ ابن القيم الجوزية : اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان الجزء الاول ص ٨٣ .

فهذه النفس قد تبلغ درجة الصديقين والشهداء اذا ذلت لله وفى سبيل الله ولاعلاء كلمة الله وليس أدل على هذا مما أخرج أبو أحمد الحاكم عن عقيل عن الزهرى عن اسماعيل بن عبد الله ابن جعفر عن أبيه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون فى الله تعالى فقال لهم " صبرا آل ياسر ، صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة " (١) . وأخرج ابن سعد عن الشعبى قال : دخل خباب بن الارت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه وقال : ما على الارض أحد أحق بهذا المجلس من هذا الا رجل واحد . قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال . قال فقال له خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق منى ان بلالا كان له فى المشركين من يمنعه الا به ولم يكن لى أحد يمنعنى فلقد رأيتنى يوما أخذونى وأوقدوا لى نارا ثم لقونى فيها ثم وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الارض أو قال برد الارض الا بظهرى . قال ثم كشف عن ظهره فاذا هو قد أبرص " (٢) .

وبهذين النموذجين الفريدين فى تلك الفترة من بدء الدعوة المكية التى قام بها سيد الخلق وغرس فيها الايمان الصادق بالله حتى باعت نفسها لله رخيصة واسترخصت فى سبيله كل شىء حتى النفس فتحملت العذاب والاذى فى سبيله فنالت الفوز والقرب من ربها بجنة أعدت لهم حين يلقونه فرحين مستبشرين وحق لهم أن يفرحوا بها جزاء لهم على صبرهم وتقواهم بما كانوا يعملون وصدق الله العظيم : ( انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ) (٣) .

وهكذا النفس اذا زكت فى علاجها ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وتمحو بذلك الرزائل والاخلاق الرديئة عنها وتتطلع الى الفضائل والاخلاق الجميلة والسلوك الطيب .

---

(١) ــ احمد بن على بن حجر العسقلانى : الاصابة فى تميز الصحابة الجزء الثالث ص ٦٤٧ ــ ٦٤٨ ابن هشام : السيرة النبوية الجزء الاول ص ٣٤٢ . الشيخ محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ٤٧ . ابن كثير : البداية والنهاية الجزء الثالث ص ٥٨ ــ ٥٩ .

(٢) ــ ابن سعد : انظر الطبقات الكبرى المجلد الثالث ص ١٦٥ . ابن كثير : البداية والنهاية الجزء الثالث ص ٥٩ . الشيخ محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ٤٨ . على الحسنى الندوى : السيرة النبوية ص ١٤٤ .

(٣) ــ سورة يوسف آية ٩٠ .

## الفصـــــل الرابـــــع
## بنـــــاء الاخـــلاق والسلوك

تمهيد :ـ

لما كانت الاخلاق هى روح الحياة الانسانية وهى نور هذا الوجود المظلم وسر هذا المبـــدع الاول الذى قذف الله به فى قلوب بنى البشر منذ اللحظة الاولى لوجودهم ليعرفوا الخير من الشر والحسن من القبيح ، ويهتدوا الى السلوك المناسب فى علاقاتهم مع بنى جنسهم ، حتى يعيشـــوا فى أمن وأمان وسلامة واستقرار فى حياتهم الدنيوية ليحققوا الغاية الاساسية وهى الخلافـــــة فى الارض اقامةً لحكم الله وتطبيقا لشريعته ونشرًا لمبادىء الاخلاق السامية ، ومكارم الصفات الحميدة والسلوك النبيل .

ولذا فقد سار الانسان الاول على ضوئها واهتدى بهداها وأخذ يبث تعاليمها فى رؤوس ابنائه لانهم خلقوا على أتم استعداد لقبول نصائح البارىء عز وجل ، وقد منهم من السر النورانى الكثير ، والهمهم من الهداية الربانية وفطرهم عليها ، وفوق تحسين الاخلاق الى اجتهادهم ، واستحثهـــم على تهذيبها وصقلها وترك تحقيقه للجهد البشرى وحدود الطاقة البشرية وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى شتى المدن وشتى البيئات ... لايعنى استقلال الانسان نهائيا بهـــذا الامر وانقطاعه عن قدر الله وتدبيره ، ومدده وعونـــــه وتوفيقـــه وتيسيره "(١) .

وحيث أن النفس الانسانية بما يعتريها من حالات تدعوه تارة الخير والفضيلة ومكارم الاخـــلاق وتارة أخرى تدعوه نوازعه الشريرة الى الشر والرذيلة ومفاسد الاخلاق ، فهو يكون متأرجحا بين هـــذا وذاك ، فان كان الضمير الذى يحمله يقظا مؤمنا بربه مستمسكا بمكارم الاخلاق وناهيا عن سفاسفها سلك طريق الخير والهدى والرشاد ، وأما ان كان متبعا لشهواته سائرا وراء هواه فسوف يهوى بـــه فى حضيض التعاسة والشقاء ، وهكذا الناس دائما يعيشون بين الخير والشر والفضيلة والرذيلـــة والحسن والقبيح ، فمن كانت نفسيته سوية معتدلة مطمئنة راضية هديت لاعمال الخير والفضيلة والحسن

---

(١) ـ سيد قطب : هذا الدين ص ١٢ .

ومن كانت بعكس هذه النفسية فانها تصبح أمارة للسوء خبيثة في أعمال الشر مستغرقة في الرذيلة والقبح حتى يلطف الله بها ويغير من أمرها ، ولذا فانه يتأكد على الانسان أن يلوم نفسه ويجاهدها بصنوف المجاهدة والمحاسبة بالتوبة والرجوع اليه في كل أحواله فان بابه مفتوح في كل وقت وحين لمن أراد ذلك لا يرده عنه أحد . ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها "(١) .

ويمكن القول بأن هذا الحديث فيه تقرير لرحمة الله الواسعة في عفوه وقبول توبة عباده التي هي خلق من أخلاق القرآن التي يدعو اليها ويؤكد عليها .

فالاخلاق العملية التي لم يخل تاريخ أمة من التواصي بها والحض عليها كانت موجودة ويتعامل الناس بها فيما بينهم قربا أو بعدا منها .

بيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله للناس رحمة وهداية قام باتمام ماكان ناقصا واصلاح ماكان فاسدا حتى استطاع أن يقيم الفرد المسلم على العقيدة والخلق ويحول بينه وبين الفساد باقامة جماعة واعية تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتزيل الشر والفساد من حياتها . وحتى قال عن أهم مهمة في رسالته "" انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق "" (٢) .

---

(١) ـ الامام أحمد بن حنبل : المسند . الجزء الرابع ص ٣٩٥ .

(٢) ـ أنظر : شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة : حديث رقم ٢٠٤ ص ١٠٥ .

اسماعيل بن محمد العجلوني : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس الجزء الاول ص ٢٤٤ .

محمد بن درويش الحوت : أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب حديث رقم ٣٧٢ ص ٩٠ .

الاخلاق عند العرب فى الجاهليـــــة : ــ

لم يكن للعرب فى الجاهلية قيم ثابتة بالنسبة للاخلاق متفق عليها بحيث لا يحيدون عنهـــا سوى نوعين من الاعمال يمكن أن تسمى أولا هما بفضائل الاعمال الخلقيـة ، وثانيهما بآفات الاعمـال الخلقيـــة .

فضائل الاعمال الخلقية : ــ

وهى تعد بالنسبة لهم جملة أخلاق عملية ومجموعة فضائل أصيلة يوصى بها حكماؤهم ويتغنـى بها شعراؤهم ويمتدح بها سادتهم ، وتوارثوا هذه الفضائل خلفا عن سلف واشتهروا بها فى عصـر الجاهلية واعتبروا بها أقرب الى سلامة الفطرة وأبعد عن كثير من الدنايا والرذائل التى غرقت فيهـا أمم الحضارة القديمـة الى الاذقان آنذاك .

ولعل هذه الفضائل والخصائص النفسية من الاسباب التى اقتضت ارادة الله أن تجعل خاتـم الرسل فيهم ، المبعوث الى البشر كافة بالرسالة العامة الخالدة ، وأن تجعلهم أصحاب هـــذا الرسول وخلفاءه وحماة هذا الدين وحامليها الى العالمين ومبلغيها الى كافة الامم والشعوب .

ولذا فان من أشهر فضائلهم الكرم الذى بلغوا فيه حدا لم يعرف لدى أى أمة من الامـــم وقد تمدحوا بـه ، وعدوه من دلائل الشرف وأصالة المعدن ، ومن لوازم السيادة على القبيلـــة والزعامة فى القوم وعنوان التفاخر فيما بينهم . يقول حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الكـــرم والجود :

يقولون لى : أهلكت مالك فاقتصـــد وماكنت لولا ماتقولون سيـــدا

ويتجلى خلق الكرم لدى العرب فى قرى من ينزل بهم من الضيوف وتزداد قيمته ويرتفع منزلـــة الكريم اذا أجدبت الارض وقل الماء والطعام وتبارى الكرماء فى تقديم مايملكونه ولو كانوا فى حاجة اليه . كما حكى عن حاتم الطائى أنه حين أجدب قومه ذبح فرسه ودعاهم فأكلوا وشبعوا وما ذاق لحمـــا بنفســـه .

وكان لهذه الفضيلة أثرها وأهميتها ــ حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أطلق سراح ابنته فى احدى الغزوات التى أسرت فيها لكرم أبيهـــا .

كما أن هناك فضائل أخرى اتصف بها العرب مثل الشجاعة التي هي قرينة الكرم ، وضده العزة والانفة والنجدة وحماية المستجير والوفاء بالعهد والعفة سواء كانت عن الاموال أم عن الاعراض وفي هذا المعنى يقول شاعرهم :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي  حتى يواري جارتي مأواها

وكانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها ، فكانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات ، وكانوا يرون أن أقبح شيء يفعله الرجل أن يجمع بين الاختين أو يتزوج امرأة أبيه ، ويسمى من يفعل ذلك الضيزن (١) .

وكان أمر الزواج يتم بأن يخطب المرأة الى أبيها أو الى أخيها أو الى عمها أو بعض بني عمها وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة ، ويكرهون الظلم ، ويغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويداومون على طهارة الفطرة ونظافتها .(٢) .

وقد عرف العرب في جاهليتهم العتق ، منذ أن عرفوا الرق ، وكان العتق مظهرا من مظاهر الكرم أو وسيلة لاستلحاق ابن موهوب ولد من جارية ، أو مكافأة من السيد لعبده على عمل عظيم يقوم به (٣) .

وكل هذه الامور كانت تصدر عن أصحاب الطبع السليم والفكر المستقيم ، ذوي الفطرة الصحيحة التي لم يسيطر عليها الهوى والشهوات التي تخرجها عن حقيقتها .

---

(١) ـ الضيزن : ضزنه يضزنه ضزنا : استولى على ما في يده جبرا ، والضيزن هنا بمعنى من يزاحم أباه في امرأته .

(٢) ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل الجزء الثالث ص ٩٠ ـ ٩٤ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل .

(٣) ـ الدكتور مصطفى الرافعي : الاسلام نظام انساني ص ١٢٠ . قدم له وراجعه الشيخ حسن تميم .

آفات الاعمال الخلقيـــــة : ــ

وبجوار هذه الفضائل الطيبة نجد بعض الرذائل التى كان لها رواج وانتشار فى المجتمـــع الجاهلى مثل شرب الخمر التى أولعوا بها ووضعوا لها أسماء عديدة فى لغتهم وتغنى بهـــا شعراؤهم بما جادت به قريحتهم فى شأنها ، وكان لها باعـة ومشترون وحانات يترددون عليهـــا ويجتمعون فيها كل وقت . ومثل الخمر لعب الميسر الذى اشتهروا به فى جاهليتهم ، فكـــان الرجل يقامر على أهله وماله فيقعـــد بعد ذلك حزينا ينظر الى ماله فى يد غيره . وكانت تثور بينهم عداوة وبغضاء وكذلك أكل الربا الذى استفحل أمره بينهم ووصل الى الاضعاف المضاعفـــة فى تكثير الاموال والحصول عليها بغير كـد وتعب ، وبلغوا فيه الى حد الغلو والقسوة فى التعامل وأخذ أموال الناس بالباطل مما جعل الله الوعيد عليه شديدا لمـن لم يتب أوعاد اليه ثانيـــة بالخلود فى النـــــار .

كما أن عادة وأد البنات وقتلهن كانت شائعة فيهم ، حتى أن القرآن الكريم قد سجل عليهم فعلتهم هذه الشنيعة بقول تعالى : ( واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت ) (١) .

قال ابن كثير : الموؤدة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهيـــــة البنات (٢) .

وكانت مذاهب العرب مختلفة فى وأد الاولاد فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن ، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الانفاق وخوف الفقر فقـــال تعالى : ( ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ) (٣) .

هذه الاية دالة على أن الله أرحم بعباده من الوالد بولده لانه نهى عن قتل الاولاد ، كما أوصى الاباء بالاولاد فى الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربمـــا قتل ابنته لئلا تكثر عيلته ، فنهى الله تعالى عن ذلك (٤) .

---

(١) ــ سورة التكويـــر آيـــة ٨ ــ ٩

(٢) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الرابـــــع ص ٤٧٧ .

(٣) ــ سورة الاسراء آيـــــة ٣١ .

(٤) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٣٨ .

وكان الربا متفشيا بين عرب الجاهلية على اختلاف ديانتهم وكانت الحرب المتمثلة في الغزوات من مصادره ، يضاف اليها ماكان يرد الى بلادهم عن طريق الشراء من الخان وعن طريق الخطاف والدين والقمار .(١)

بيد أن أشد الآفات الخلقية وأعمقها في حياتهم كانت العصبية للقبيلة بالحق أو الباطل والتعصب لها ولافرادها ظالمين أو مظلومين وكان شعارهم في ذلك أنصر أخاك ظالما أو مظلوما .

وقد أقر الاسلام بعضا من تقاليد الجاهلية التي تمت الى العصبية القبلية بسبب ولكن جعل لها ميزانا خاصا ومكانة عالية مثل طلب ولي القتيل بدم صاحبه ومثل توزيع دية القتيل بسبب الصلح أو القضاء ، ومثل بعض حقوق الميراث وحقوق أولي الارحام واليتامى والمساكين في الاسرة .

---

(١) ـ الدكتور مصطفى الرافعي : الاسلام نظام انساني ص ١١٩ ـ ١٢٠ . مقدم له وراجعه الشيخ حسن تميم .

(٢) ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٥ ـ ٧١

الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء الاول ص ٦٤ ـ ٦٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية الجزء الثاني ص ٢١٢ .

عبد الرزاق محمد أسود : حياة الرسول المصطفى الجزء الاول ص ٤٧ .

## موقف الاسلام من الاخلاق العربيـــــة

لقد أكرم الله العرب بالاسلام وبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فحمل على رذائل الجاهلية وآفاتها ومساوئها ،وعمل جاهدا من بداية الدعوة بالتوجيه والتربية والارشاد على تطهير المجتمع المكى من أوحالها وغرس فضائل جديدة مكانها وكان مسلكه فى معالجته لهذه الامراض المزمنة أن لا يأخذها بالعنف والمفاجأة بـــل يتلطـــف فى السير لازالتها على مراحل ليتبين العاقل بنفسه من مضارها فيتركها كمـــــا جاء فى شأن الخمر فى قوله تعالى : ( ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقـا حسنا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون ) (١) .

فالاية الكريمة تشير الى أن الرزق الحسن غير الخمر وأن الخمر ليست رزقا حسنا وفى هذا توطئة لما جاء بعد تحريمها ،وفى هذا وصف للواقع الذى كان سائدا من اتخاذهم الخمـــر من ثمرات النخيل والاعناب وفيه لفت نظر العقلاء بأن يدركوا أن من صنع هذا الرزق هو المستحق للعبودية وحده ، فلا يتخذ أمرا يخرجـه عن عبوديته وطاعته بفعله وارادته . (٢) .

وكمـــــا فعل فى الخمر حاول بطريقته الحكيمة أن يحس الناس بأن طريق الربا طريق فاشل غير مرغوب فيه دينيا من الله سبحانه وتعالى كأسلوب تتعامل به الجماعة الاسلامية كما فى قولـه تعالى : ( وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكـــــاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفـــون ) (٣) .

تنفى هذه الاية الكريمة أسلوب التعامل الربوى فى تنمية المال وزيادته لانه طريق غـــير مشروع بل ممحق له وفى نفس الوقت نبه الى أن الصدقة التى يراد بها وجه الله يتضاعـــف أجرها وينميها حتى تصبح أضعافا مضاعفـــة . (٤) .

---

(١) - سورة النحل آية ٦٧ . (٢) - سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص ٢١٨١

(٣) - سورة الـــروم آيـــة ٣٩ .

(٤) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٤٣٤ .

سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الخامس ص ٢٧٧٢ .

ولما عرف أن الرق كان عاما فى الجزيرة وفى العالم كله فان الاسلام شجع على العتق منذ العهد المكى ، وجعله سببا فى قطع العقبة الكئود يوم القيامه ، قال تعالى : (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة ) (١) .

فالاية تحث على كثرة إعتاق الرقاب لحصول الاجر والمثوبة عند الله ، وابطال للعادة الجاهلية فى تمهيد الطريق لالغاء الرق وترغيب الناس فى تحرير الرقيق بدون مقابل ابتغاء وجه الله (٢)

أما فضائلهم القديمة فقد أقرهم الاسلام عليها بعد أن هذبها وأصلحها ووسع أفقها وربطها بأهداف كبرى وبواعث أخرى غير بواعثهم فى الجاهلية ، كما أدخل فى حياتهم فضائل جديدة كانوا لا يلقون لها بالا وربما كانوا يعدونها رذائل . واذا فالاخلاق الاسلامية مؤسسة على رضا الله والقرب منه لانها دينية قبل كل شىء ولكن الاسلام قد بدأ بمهمته الاخلاقية آنذاك بتحميد الفضائل والحط من شأن الرذائل بكل الوسائل الممكنة واستعمل لذلك أحكم أساليب الترغيب والتهذيب اللذين هما ضروريان لدفع المجتمع الاسلامى نحو الاصلاح الخلقى الذى جاء به الاسلام .

ولما كان الاسلام فى جوهره دين قوة واجتماع وعمل ومجاهدة وأخلاق معتدلة مستقيمة فى هذه الحياة . فقد ركز أخلاقه على أساس صلاح الحياة الاجتماعية للامة ، وبصلاحها تصبح حاملة النور الالهى الى الخلق والممثلة لعدل السماء فى الارض ، بما عندها من كتاب الله وميراث النبوات جميعا ، يهيمن عليها كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة نبى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

لقد كان الباعث على الفضائل للعرب فى غالب الامر هو اتقاء الذم وابتغاء الثناء والشهرة وحسن الاحدوثة والذكر والحفاظ على الحسب والمجد وهو واضح فى أقوالهم وأشعارهم ، فلما جاء الاسلام استحدث باعثا آخر لكل الاعمال والفضائل هو ابتغاء رضوان الله تعالى ، وحسن مثوبته فى دار الخلود .

---

(١) - سورة البلد آية ١١-١٣ . (٢) الدكتور رؤوف شلبى : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ص ٥٥٨ . الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ص ١٨٨ — ١٨٩ .

لهذا لم يعتد بالانفاق والجود ولا الشجاعة والقتال الا اذا كانا فى سبيل الله ، فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يارسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : " لا، انه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين " (١) .

والاسلام وضع أمام العربى نموذجا كاملا لمكارم الاخلاق يتمثل فى القرآن الكريم ونموذجا عمليا بشريا لهذه المكارم يتمثل فى الرسول الكريم الذى تجسدت فيه أخلاق القرأن كما وصفه الله جل شأنه فى قوله تعالى : ( وانك لعلى خلق عظيم ) (٢) .

قال ابن كثير فى تفسيرها عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت " كان خلقه القرآن " (٣) .

أبرز الصفات الاخلاقية الاسلامية :-

لا يختلف اثنان فى أن اقامة المبادىء الخلقية على أساس من الايمان بالله على ماورد فى القرآن الكريم هو من كمال الاخلاق والتخلق بأخلاق الله التى تجتمع فيها كل الكمالات العليا . وأصدق دليل على ذلك هو أخلاق الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فان الله سبحانه وتعالى أدبه فأحسن تأديبه ، فكان القدوة الحسنة والمثل الاعلى فى حياته الاولى فى مكة حتى لقب واشتهر بينهم بالصادق الامين . ولذا فاننى أتعرض لاهم الصفات الخلقية التى دعا اليها القرآن الكريم المؤمنين بأن يتصفوا بها وحث عليها رسوله الكريم بقوله وباشرها قبل ذلك بفعله وعمله وتخلقه حتى استقرت فى نفوس تلك الفئة المؤمنة من الرعيل الاول فكانت شعلة أضاءت الطريق لمن بعدها ممن أراد الله لها الخير والصلاح والتوفيق والسداد فى الدنيا والاخرة.

---

(١) - ابن كثير : البداية والنهاية الجزء الثانى ص ٢١٨ .

(٢) - سورة القلم آية ٤ .

(٣) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الرابع ص ٤٠٢ . البداية والنهاية الجزء السادس ص ٣٥ .

ابن سعد : الطبقات الكبرى الجزء الاول ص ٣٦٤ .

لقد جاء الاسلام ليحقق للانسان فى هذه الدنيا العبودية المطلقة لله سبحانه ، وأن يظهر السلوك الاسلامى بالمظهر الاخلاقى الرفيع ليبين للناس أن مستوى الانسانية الفاضل انما هو فى التبعية لهذا الدين ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم فى العهد المكى تؤكد تلك الاخلاقيات الاسلامية وتدعو للتمسك به حتى تكون بحق هى الامة الفاضلة الخيرة وهذه الصفات هى :-

* الصدق :-

قال تعالى : ( هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ) (١) . وقال تعالى : ( والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ) (٢) . وقال تعالى : ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا تبديل لكلماته ... ) (٣) . وقال تعالى : ( وعد الصدق الذى كانوا يوعدون )(٣) وقال تعالى : ( انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ) (٤) .

فى هذه الايات الكريمة المكية دليل على أن خصلة الصدق من الصفات الحميدة المطلوبة فى كل مسلم بأن يتصف بها قولا وعملا فانها هادية الى الخير والصلاح فى جميع الاحوال . ولذا فقد أثنى الله عز وجل فى الاية الاخيرة على اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد (٥) .

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن وتحريه فى كل قضية والمصير اليه فى كل حكم دعامة ركينة فى خلق المسلم ، وصبغة ثابتة فى سلوكه .

---

(١) - سورة يس آية ٥٢ (٢ سورة الزمر آية ٣٢ .

(٣) - سورة الاحقاب آية ١٦ .

(٤) - سورة الانعام آية ١١٥

(٥) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث ص ١٢٥ .

أما الكذب فهو رذيلة محضة تنبىء عن تغلغل الفساد فى نفس صاحبها وعن سلوك ينشىء الشر انشاء ، ويندفع الى الاثم من غير ضرورة مزعجة أو طبيعة قاهرة ، وقد حذر الله منه وبين خطره فى آيات كثيرة . قال تعالى : ( وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ) (١) وقال تعالى : ( ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين ) (٢) . وقال تعالى : ( وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ) (٣) . وقال تعالى : ( ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ) (٤) . وقال تعالى : ( فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ) (٥) .

ففى هذه الايات تحذير من آفة الكذب وخسران صاحبه فى الدنيا والاخرة لان عاقبة الكذب وخيمة وشره مستطير حتى يلقى به الى فعل المحرم وقلب الحقائق التى لا بد من التزامها (٦) .

وحسبنا فى هذا كله قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى اتباع الصدق واجتناب الكذب ومآل كل منهما . فقد جاء فيما رواه البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الصدق يهدى الى البر وأن البر يهدى الى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وأن الكذب يهدى الى الفجور وأن الفجور يهدى الى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (٧) .

---

(١) - سورة العنكبوت آية ١٨ . (٢) - سورة المطففين آية ١١ .

(٣) - سورة يونس آية ٦٠ . (٤) - سورة النحل آية ١١٦ .

(٥) - سورة الاعراف آية ٣٧ .

(٦) - محمد الغزالى : خلق المسلم ص ٣٥ - ٤٤ .

الدكتور مصطفى السباعى : أخلاقنا الاجتماعية ص ٨١ - ٨٨ .

(٧) - أنظر صحيح البخارى ص ٩٥ . الادب ٦٨ باب الجزء السابع .

صحيح مسلم الجزء الثانى ص ٤٣٨ .

* الامانـــــة :-

قال تعالى : ( والذين لاماناتهم وعهدهم راعون ) (١) . وقال تعالى : ( قال الملك ائتونى استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ) (٢) . وقال تعالى : ( ان خير من استأجرت القوى الامين )(٣) .

تشير هذه الايات الكريمة الى أن الامانة من الخصال الحميدة التى لا يتصف بهـــا الا الاخيار ذوو الاخلاق العالية والمكانة الرفيعـــــة . يقول ابن كثير فى معنى " أنت اليـــوم لدينا قوى أمين " أى أنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانـــــة . (٤) .

والامانة ذات مفهوم عام تشمل جميع التكاليف والالتزامات الاجتماعية والاخلاقية ، فليست مقصورة على أمانة المال التى تودع عند الانسان فيقوم بحفظها ثم يردها الى صاحبها فهى اذن تعتبر فى نظر الشارع واسعة الدلالة وهى ترمز الى معان شتى مناطها جميعا شعـــور المرء بتبعيته فى كل أمر يوكل اليه ، وادراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام الله عز وجل ، كما أنها من ألزم الاخلاق للفرد والجماعة على السواء . ولا يستطيع حملها الرجال المهازيـــل لان عبئها ثقيل فلا ينبغى للانسان أن يستهين بها أو يفرط فى حقها . فعن أبى ذر قال : قلت يارسول الله ألا تستعملنى قال:فضرب على منكبى ثم قال : " يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها " (٥) .

بجانب هذه الامانة توجد آفة الخيانة التى تكثر فى الناس فلا يأمن صديق صديقـــه ولازوج زوجه ولا أب ولده ، وهى أمر مذموم لا يتصف بها الا منافق وقد حذر الله ورسولـــه منها . قال تعالى : ( ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله يهدى كيد الخائنين ) (٦) وقال تعالى : ( يعلم خائنة الاعين واتخفى الصـــــدور ) (٧) .

فى هاتين الايتين بيان لخطر الخيانة وعظم جرمها ، ولذا فقد قال ابن كثير فى معنى الاية الاولى : " تقول انما اعترفت بهذا على نفسى ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الامر ولا وقع المحذور الاكبر وانما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلـــم أنى بريئـــة (٨) .

---

(١) - سورة المؤمنون آية ٨ . (٢) - سورة يوسف آيـــة ٥٤ .

(٣) - سورة القصص آيـــة ٢٦ . (٤) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص٤٨٢

(٥) - صحيح مسلم الجزء الثانى ص ١٢٤ . (٦) - سورة يوسف آيـــة ٥٢ .

وهذا بيان لعظم خطورة الخيانة اذا حصلت واعترافها بعدم حصول الحذر أمانة لما يجب أن يكون عليه الزوجان من الصراحة والتفاهم في معالجة أمورهم اذا بدر ما يعكر بينهما صفو المودة .

أما عن الاية الثانية فقال ابن عباس رضى الله عنهما " يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ (١) .

وقد بين الرسول الكريم أن الخيانة صفة ذميمة من صفات المنافقين . فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان " (٢) .

وبهذا نعلم بأن الخيانة أمرها عظيم اذا استهان الفرد بها حتى تستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها . (٣) .

الوفاء :-

قال تعالى : ( وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا ) (٤) . وقال تعالى : ( وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ) (٥) . وقال تعالى : ( وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ) (٦) .

تؤكد هذه الايات المكية الوفاء بالعهد والامتثال به أيا كان نوعه وصورته بشرط أن يتعلق الامر بالحق والخير والا فلا عهد في باطل وعصيان .

والوفاء يستلزم أمرين اذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به . أولاهما :- الحاجة الى التذكير الدائم وعدم النسيان ، ولذلك فقد ختمت الاية الاخيرة بهذا التذكير في قوله تعالى : ( ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ) (٧) .

---

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الرابع ص ٧٥ .

(٢) - صحيح البخارى : ص ٩٥ كتاب الادب ٧٨ - باب ٦٩ .

(٣) - الدكتور مصطفى السباعى : أخلاقنا الاجتماعية ص ١٠٢ - ١٠٨ .
محمد الغزالى : خلق المسلم ص ٤٥ - ٥٣ .

(٤) - سورة الاسراء آية ٣٤ . (٥) سورة النحل آية ٩١ .

(٦) - سورة الانعام آية ١٥٢ . (٧) - سورة الانعام آية ١٥٢ .

الثانى : العزم على انفاذه والقيام به مهما لاقى من صعوبات وتجشم من مشـــاق . ولذا لما نسى آدم أبو البشر وضعفت عزيمته ثم نكث فى عهده قال الله فى شأنـــــه ( ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزمـــا ) (١) .

ولما كان التعامل من الامور الهامة فى الحياة ويقتضى فيه الوفاء والاستيفاء بالقســط فقد قرر العهد المكى هذه الاخلاقية الاسلامية وأكد عليها فى آيات كثيرة . قال تعالى : ( وأوفوا الكيل والمـــيزان بالقسط ) (٢) . وقال تعالى : ( فأوفوا الكيل والمـــيزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) (٣) . وقال تعالى : ( ياقوم أوفوا المكيال والمـــيزان بالقسط ) (٤) . وقال تعالى : ( أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ) (٥) . وقال تعالى : ( وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاط المستقيم (٦) .

تبين من سياق هذه الايات أن التطفيف فى المكيال والميزان كان موجودا فى الامـم السابقة فجاء كل نبى يوصى قومه بالوفاء فيهما لان العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة ولا تستطيع أن تغضى عن الحق والعدل فى معاملات الناس ، فأمروا بها لتحقيق هـــذه الغايـــة الخلقيـــة (٧) .

---

(١) - سورة طـــه آيـــة ١١٥ .

(٢) - سورة الانعـــام آيـــة ١٥٢ (٣) - سورة الاعـــراف آية ٨٥ .

(٤) - سورة هود آيـــة ٨٥ . (٥) - سورة الشعراء آيـــة ١٨٢ .

(٦) - سورة الاسراء آيـــة ٣٥ .

(٧) - سيد قطـــب : فى ظلال القرآن الجـــزء الخامـــس ص ٢٦٥ .

محمد الغزالـــى : خلق المسلـــم ص ٥٤ — ٦٦ .

الرحمـــــة :-

قال تعالى : ( ان رحمة الله قريب من المحسنين ) (١) . وقال تعالى : ( فقـــل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمـــة ) (٢) . وقال تعالى : ( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) (٣) . وقال تعالى : ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعـــوه واتقوا لعلكم ترحمون ) (٤) . وقال تعالى : ( ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا مـــن أمرنا رشـــدا ) (٥) . وقال تعالى : ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ) (٦) .

بين الله جلت قدرته في هذه الايات المكية بأن رحمة الله مرصودة للمحسنين الذيـن يتبعون أوامره ويزدجرون بزواجره ، بل هي رحمة تشمل الوجود وتعم الملكوت ، لان رحمة الله وسعت كل شيء ومع ذلك فلن ينالها مشرك ولا جحـــود .

والحق أن الاسلام يوصي بالرحمة العامة لا يستثني منها انسانا ولا دابة ولا طـــيرا والنصوص التي سلفت تؤيد هذا الشمول وتؤكده . وما هذه الرحمة التي أوجدها اللـــه في قلوب عباده ويتراحمون فيما بينهـم الا جزءا من مائة جزء ، كما أخبر بذلك الصـادق المصدوق . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلـــم يقول "" جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الارض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدهـــا خشيـــة أن تصيبـــه (٧) .

---

(١) - سورة الاعراف آيـــة ٥٦ .
(٢) - سورة الانعام آية ٥٤ .
(٣) - سورة الاسراء آية ٨٢ .
(٤) - سورة الانعام آية ١٥٥ .
(٥) - سورة الكهف آية ١٠ .
(٦) - سورة الاعراف آيـة ١٥ .
(٧) - صحيح البخاري : ص ٧٥ كتاب الادب الجزء السابع باب ١٩ .

ولذلك فان أولى الناس بالرحمة وأجدرهم بجميل البر هما الوالدان .

قال تعالى : ( واخفض لهما جناح الذل من الرحمن وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ) (١) . ثم يليهما أولاده . فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبى فاذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم " أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر على أن لا تطرحه فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها" (٢) .

وممن يجب الرحمة بهم اليتامى ثم المرضى وذوو العاهات ثم الذين يقومون بالخدمة والرعاية . كما أن الرحمة مطلوبة أيضا بالحيوان والرفق به ، ولنا فى هذا كله أسوة حسنة وقدوة عملية لرسولنا عليه الصلاة والسلام ،فان رحمته كانت عامة لكل شىء حتى الجماد (٣) .

العدل والاحسان :-

قال تعالى : ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لعلكم تذكرون ) (٤) . وقال تعالى : ( هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ) (٥) . وقال تعالى : ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ) (٦) .

يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى أنه يأمر عباده بالعدل بالقسط والموازنة ويندب الى الاحسان (٧) .

---

(١) - سورة الاسراء آية ٢٤ .

(٢) - صحيح البخارى : الجزء السابع ص ٧٥ كتاب الادب باب ١٨ .

(٣) - محمد الغزالى : خلق المسلم ص ٢٠٣ - ٢١٢ .

- عبد الله ناصح علوان : تربية الاولاد فى الاسلام الجزء الاول ص ٣٦٥ .

(٤) - سورة النحل آية ٩٠ (٥) - سورة النحل آية ٧٦ .

(٦) - سورة الاسراء آية ٢٣ . (٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص ٥٨٢

ومن ثم كان الامر بالعدل هو الاساس الذى سمن به الاسلام منذ العهد المكى سلاية الآخرة التى تحقق للناس جميعا انتظام العلاقات على أساس متين .

ويهتم الاسلام بالاحسان لانه فيه تلطيفا من صرامة العدل الجاف مالم تنتهك محارم الله ، ولذا قرنا معا هنا وهو باب مفتوح لقاعدة الايثار والمودة "(١) .

ان العدل لهو الباعث الوحيد على مايشاهد من الجهود الجبارة فى كل مكان وزمان لنصرة الحق ورفع لواء المدنية وحسبنا القرآن الكريم شاهدا بذلك فقد دعا صراحة الى مراعاة العدل فى كل موضع ، دعا الخاصة فيه الى العدل بل لقد نبه الى وجوب مراعاته حتى فى معاملة الاعداء والمخالفين فى الدين ، كما أن السنة المحمدية مليئة بالحث على العدل ففيما رواه الامام مسلم فى صحيحه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا" (٢) .

أما فضيلة الاحسان التى تنشأ عن الرفق والحلم وبها مظاهر كثيرة ، فمن مظاهرها بر الوالدين وبذل الوسع فى ارضائهما بما لا يخالف قواعد الدين والادب ، وهذا ماحث عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ( وبالوالدين احسانا) (٣) . ومنها أيضا بر ذوى القربى ومحاسنتهم ومعاونتهم عند الحاجة ومنها الرأفة باليتامى والمساكين والعطف عليهم ، ومنها العفو عن زلات أصحاب المروءات واقالة عثراتهم والاسراع الى نجدتهم عند ماتحل بهم نكبات الزمان . قال تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) (٤) .

فى هذه الاية أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، بمعنى أن يأخذهم بالسهل اليسير فى المعاملة والمعاشرة ، قال ابن كثير : " وهذا أشهر الاقوال ويدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ماهذا ياجبريل ؟ قال ان الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك " ( ٥) .

---

(١) ـ سيد قطب : فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص ٢١٩٠ .
(٢) ـ صحيح مسلم الجزء الثانى ص ١٢٤ . (٣) ـ سورة الاسراء آية ٢٣ .
(٤) ـ سورة الاعراف آية ١٩٩ . (٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص ٢٧٧

## المسؤوليـــــة الاخلاقيـــــة

لقد كان العهد المكى عهد بناء للتصور الاسلامى للتربية التى تقوم بتحديد المسؤوليـــــة كاملة لتؤدى الحقوق بكل أمانة وعزم وضاء على الوجه الذى يتطالبه الاسلام ويرضى عنه ، فكانـــت آيات القرآن المكى دروسا مفيدة فى تربية الجماعة الاسلامية على تحمل المسؤولية لتكوين الفـــرد الصالح والاسرة الصالحة ، وهذا هو منطلق الاسلام فى الاصلاح والبناء لقيام المجتمع المثالى .

وحول هذه المسؤولية يقول الله تعالى : ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (١) . وقوله تعالى : (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) (٢) . وقوله تعالى : (وكـــل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفســـك اليوم عليك حسيبا) (٣) . وقوله تعالى : (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)(٤) وقوله تعالى : (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)(٥) وقوله تعالى : (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ) (٦) .

تقرر هذه الايات المكية أن المسؤولية شاملة فى الدنيا والاخرة ، وهو مبدأ دينى منذ بعث الله للبشر رسلا يهدونهم الى الصراط المستقيم ، فليستعد كل فـــرد لهذه المساءلة ويخلص فى جميع أعماله الظاهرة والباطنـــــة حتى يفوز بتلك المنازل والمراتب التى أعدت للمسلمين بحسب أعمالهم فى الجنـــــة .

كما أن الرسول الكريم حدد هذه المسؤولية وبينها لكل فرد بيانا شافيا من جانب ما يقوم به من عمل فقد ثبت فيما رواه الامام البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع ومسؤول عن رعيته " (٧) .

---

(١) ـ سورة الحجر آية ٩٢ ـ ٩٣ (٢) ـ سورة الاعراف آيـــــة ٦ .
(٣) ـ سورة الاسراء آية ١٣ ـ ١٤ (٤) ـ سورة الاسراء آيـــــة ٣٦ .
(٥) ـ سورة الاسراء آيـــــة ١٥ (٦) ـ سورة الاحقاف آيـــــة ١٩ .
(٧) ـ محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى ص ١٨٩ ، كتاب الوصايا باب ٩ الجزء الثالث .
أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم الجزء الثانى ص ١٢٥ .

فكل فرد في مجاله مسؤول عن حسن سير الامور العامة والخاصة التي وكلت اليه ، ونستطيع القول بأن كل مسؤولية هي مسؤولية أخلاقية متى ارتضيناها فالمسؤولية التي يحملنا اياها غيرنا تتبع بمجرد قبولنا لها مطلبا صادرا عن شخصنا ، واذن فليس من المستغرب أن نرى القرآن يقدم لنا المسؤولية الدينية ذاتها في صورة مسؤولية أخلاقية محضة " (١) .

الجزاء الاخلاقي :-

وهو مايترتب على عمل الانسان المسؤول من مثوبة في الخير وعقوبة في الشر بالمكافأة والجزاء في الدنيا والاخرة . يقول الله تعالى : ( ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ) (٢) . وقوله تعالى : ( ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ) (٣) . وقوله تعالى : ( أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ) (٤) . وقوله تعالى : ( ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ) (٥) .

تقرر هذه الايات الكريمة بأن الجزاء يكون على الاعمال سواء كانت خيرا أم شرا ، فالاعمال الحسنة جزاؤها الجنة والاعمال السيئة جزاؤها النار ، والعاقل البصير يختار الخير ويترك الشر ليفوز بجنة الله ورضوانه .

ولذا - فعلى كل فرد أن يهدي نفسه الى الخير ويقودها الى النجاة ويبتعد عن الشر وما يؤول اليه من فساد وخسران وهلاك ، والطريق الى ذلك بابه مفتوح لمن أراد أن يلجه ويدخله بالتوبة والانابة والرجوع الى الله في كل وقت عن أي ذنب اقترفه أو رغبة في القرب من الله وازدياد في الخير .

---

(١) - الدكتور محمد عبد الله دراز : دستور الاخلاق في القرآن الكريم . تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٣٧ - ١٤٠ . الدكتور رؤوف شلبي : الدعوة الاسلامية في عهدها المكي ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

(٢) - سورة النحل آية ٩٧ (٣) - سورة فصلت آية ٢٧ .

(٤) - سورة الاحقاف آية ١٤ (٥) - سورة الكهف آية ١٠٦ .

يقول الله تعالى : ( واذا جاء الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ) (١) . وقال تعالى : ( والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ) (٢) . وقال تعالى : ( الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ) (٣) . وقال الله تعالى : ( هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون ) (٤) .

تبين هذه الايات المكية أن التوبة تطهير للنفس وتزكية لها عما لصق بها من الادران أيا كان نوعها ، فيجب على المسلم المسارعة اليها فانها تجب ماقبلها ان كانت توبة نصوحا .

يقول ابن كثير : "ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم الى أنه يقبل توبة عباده من أى ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق "(٥) .

واذن فليست التوبة ثمرة ضرورية للندم بل هى جزاء وجزاء أخلاقى بالمعنى الحقيقى، يفترض تدخل الجهد ، انها واجب جديد يفرضه الشارع علينا على أثر تقصير فى الواجب وجزاء عليه (٦) .

---

(١) ـ سورة الانعام آية ٥٤ . (٢) ـ سورة الاعراف آية ١٠٣ .

(٣) ـ سورة مريم آية ٦٠ (٤) ـ سورة الشعرا آية ٢٥ .

(٥) ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الثانى ص ٢٤٨ .

(٦) ـ الدكتور رؤوف شلبى : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ، مناهجها وغاياتها ص ٥٣٧ ـ ٥٣٩ .

الدكتور محمد عبد الله دراز : دستور الاخلاق فى القرآن ص ٢٥٠

## بيـــــان وتعقيـــــب

لقد شاءت حكمة الله فى العهد المكى أن تكون قضية العقيدة هى القضية التى تتصـــدى لها الدعوة منذ اليوم الاول للرسالة ، وأن يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى خطواتـــه فى الدعوة بها وبناء على تلك العقيدة الصحيحة كان هدف القرآن الكريم متوجها الى اقامة عالـــم رفيع الخلق عف المشاعر ، نظيف التعامل والسلوك موصول الصلة بالله خاضع لناموسه الالهى الواحـد فيسلم أمره لله ويحس أنه سبحانه معه يسمعه ويراه وهو احساس بالرقابة الدائمة كفيل بتقويم النفـــس وتربية الضمير وتطهير السلوك وتحقيق المنهاج الخلقى الكامل الذى يشمل كل مايتصل بالحيـــاة والأحيـــاء .

ومن خلال استعراض الاخلاق والسلوك التى كان عليها العرب قبيل البعثة والتى فى جملتهـا دعت الناس الى العمل الصالح القائم على الاخلاق الفاضلة . والاخلاق قديما وحديثا ثابتة لاتتغير ولا تخضع لاى ظرف أو لاى مكان ، فالصدق هو الصدق والكذب هو الكذب ، والامانة هى الامانـــة فى كل زمان ومكان ، وفى كل بيئة أو مجتمع . بيد أن الاخلاق فى الاسلام تقوم على أساس مـــن الايمان بالله على ماورد فى القرآن الكريم على خلاف أخلاق الاخرين ، فليس لله مكان فيها . كمـا أن الفرائض التى ألزم الاسلام بها كل منتسب اليه هى تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخـلاق صحيحـة ، وأن يظل متمسكا بهذه الاخلاق مهما تغيرت أمامـــه الظروف .

وبهذا نتبين متانة الاواصر التى تربط الدين بالخلق فى الاسلام وما يمتاز به عن أخـــــلاق غيره من الامم ، كما بين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الغاية من بعثته فى قوله : " انما بعثت لأتمم مكارم الاخـــــلاق " (١) .

ولذا فان النموذج الاول صاحب الخلق الرفيع الذى لايمكن أن يدانيه أو يصل اليـــه أحـد هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالا وأسوة لتطبيـق مبادئ الاخلاق سلوكيا حتى كانت حقيقة نفسه الشريفة من حقيقة الرسالة وكانت عظامـــة نفســـه الزكية من عظامة هذه الرسالـــــة .

---

(١) — نصر الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى : المقاصد الحسنة فى بيان كثير

لقد شهدت مكة وأهلها جميعا بما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم من الخلق الفاضل من بداية نشأته الاولى حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى في وصفه ( وانك لعلى خلق عظيم ) (١) . وقول زوجته خديجة في شأنه حين رجع اليها من غار حراء قال : "كلا يا ابن عم لاتقل ذلك فان الله لايفعل ذلك بك أبدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتؤدي الامانة وان خلقك لكريم " (٢) .

فهذه الفضائل التي هي من مكارم الاخلاق كانت سجية و جبلة فطره الله عليها ، ولما قام بدعوته ورسالته وزرعها في قلوب أصحابه فأينعت ثمارها وتمثلت صورة حية في شخصيتهم حتى بلغ بهم قمة الكمال الانساني وعلى رأسهم صاحبه أبو بكر رضي الله عنه الذي كان المثل الصادق لهذه الرسالة لما قام به مقتفيا سيرة صاحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل فضيلة دعا اليها وأكد عليها حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم " إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته ، لايبقين باب في المسجد الا باب أبي بكر " (٣) . وأما عن تتبعه للاخلاق النبوية وما دعا اليه فقد جاء فيما يرويه الامام مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال ابو بكر أنا . قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال ابو بكر أنا . قال فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال ابو بكر أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة "(٤) .

لقد تجاوزت أريحية أبي بكر الكريمة هذه الحدود فوظف ماله وكل مايمتلك للدعوة وصاحبها فأعتق في مكة سبعة انفس . قال ابن هشام " ثم اعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر الى المدينة ست رقاب بلال وعامر وسابعهم " ( ٥ ) .

---

(١) ـ سورة القلم آية ٤ . (٢) ـ انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى الجزء الاول ص ١٩٥ .
(٣) ـ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ص ١٩١ كتاب فضائل الصحابة الجزء الرابع باب ٣٠ .
(٤) ـ ابو الحسين مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم الجزء الثاني ص ٣٥٢ .
(٥) ـ ابن هشام : السيرة النبوية الجزء الاول ص ٣٤٠ .

وبهذه الاخلاق الرفيعة الى جوار العقيـــــدة الصافيـــــة النقيـــــة فتح المسلمون الممالك بعد ذلك وسادوا الدنيا وأقاموا الموازين القسط بين الناس فانتعشت القلوب الخاوية لحرارة الايمان واستضاءت العقول بنور جديد تطلب الطريق الصحيح ومحلها الرفيع وتحس الـــس مكانتها السامية العالية فلا ترى أمة من الامم ولا بلدا من البلاد الا وهو يريد السباق فى هـــذا المضمار والتنافس فيـــــــه " (١) .

---

(١) ــ ابو الحسن على الحسنى الندوى : السيرة النبوية ص ٥٦٥ .

## الخـاتمـــــــة

حمدا الله وشكرا على نعمائه وعظيم جزائه أن وفقنى للوصول الى اتمام هذا البحث الذى يقوم على ابراز مقومات بناء الفرد المسلم فى تلك الفترة المكية التى نزلت فيها آيات القرآن الكريـــــم على قلب الرسول العظيم تربى تلك الفئة المؤمنة بربها وترعاها من خلال توجيهات الرسول الاعظم وتضع لها منهجا تربويا فاضلا يقوم على ادراك حقيقة الاسلام من معرفة الميزان السليم الذى تـوزن به الدعوات فهى تبنى فيه كل جانب من جوانبه التى يتبوأ بها مكان العظمـة من سمو ورفعـــــة ويحيا بها كمنهج حياة واقعية للتطبيق العملى ، وأنه لمن الضرورى لاصحاب الدعوة الاسلاميـــة أن يدركوا طبيعة هذا ومنهجـه فى البناء ليعلموا أن مرحلة البناء التى قامت فى العهد المكـى لم تكن منعزلة عن مرحلة التكوين العملى للحركة الاسلامية والبناء الواقعى للجماعـة المسلمة .

وقد أدركت أن العهد المكى كان عهد بناء وتكوين حقا لتلك النواة الاولى فى مختلف شؤون حياتها ليحقق لها السعادة والطمأنينة ولذلك فقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج أهمها :ـ

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى زود الانسان بمدركات ثلاث حسية وعقلية وأرشده الى حسن استخدامها وحمله المسؤولية فى التقصير وعدم الاستفادة منها ودعاه الى النظر فيها وفى عملها حتى يجنى ثمارها ويحصل على اليقين فى حياته الخاصة والعامة .

٢ ـ لقد قامت الدعوة الى تصفية العقيدة وتنقيتها من أول قيامها والقضاء على العقائد الفاسـدة وعدم قبول المساومة فى ذلك لان العقيدة هى أساس كل شىء ولذلك فقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المساومة من قريش حين طلبوا من عمه أن يبلغه ذلك فقال : صلى اللـــه عليه وسلم قولته العظيمة : " ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يســـــارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته " (١) .

وفى هذا الموقف العظيم يكون الدرس العملى لاى داعية يتصدى للدعوة فلابد أن يجابـه مثل هذا فيقف قويا صلبا لايتزحزح عن مبدئه ودعوته بل يسير فى طريق الحق الى آخر رمـق فى حياته حتى يلقى الله وهو راض عنه ثابت على الحق والصراط المستقيم .

---

(١) ـ ابن هشام : السيرة النبوية الجزء الاول ص ٢٨٥ .

٣ ــ تتعرض النفس الانسانية لحالات ثلاث تتنازعها اما الى الخير أو الشر فتكون تارة أمارة وتارة لوامة وأخرى مطمئنة وهى أعظمها قدرا عند الله ويقال لها " ( يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ) (١) .

فالمقصود اذن معرفة هذه النفوس لينتبه الفرد المسلم لاصلاح نفسه وتربيتها حسب المنهج الالهى الموضوع له .

٤ ــ المحاسبة للنفس تعد من الكياسة والفطانة بمكان ، فكما أن التاجر يعمل جردا وحسابا لتجارته فكذلك العاقل البصير يعمل حسابا ليوم القيامة فان النفس عيوبا كثيرة تبعد ، وتصرفه عن خالقه فان حاسبها وجاهدها استطاع أن يخفف من معايبها ويقربها الى خالقها فتصفو وتطهر وتزكو ويفلح صاحبها كما قال الله تعالى : ( قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) (٢) .

٥ ــ من خلال عرض القضايا فى العهد المكى يتبين أن القرآن الكريم كان يعالج تلك الامور بما يبنى الجماعة المسلمة ويربيها ولم يحفل بتعريفاتها لان هدفه الرئيس كان متوجها للاصلاح والبناء والتعمير ، ومن هذا المنطلق يضع الداعية منهجه ويقدمه واضحا بما يصلح من شأن الامة ويصل بها الى تحقيق الغاية التى خلق الناس من أجلها كما قال تعالى : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) (٣) .

٦ ــ الاخلاق تعد من الامور التى تعارف عليها الناس جميعا ولكن نظرة الاسلام لها تعتبر فريدة فى نوعها فهى تقوم على أساس من الدين وغايتها رضا الله والقرب منه . فليست قائمة على طلب الشهرة والجاه والمنصب ، وهى مرفوضة بهذا المعنى ، ومكارم الاخلاق كلها كانت مجتمعة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفه رب العزة والجلال بقوله تعالى : ( وانك لعلى خلق عظيم ) (٤) .

ولقد اقتبس الصحابة رضوان الله عليهم من محاسن تلك الاخلاق النبوية الكريمة وساروا على نهجها فاستبشروا بها خيرا حتى أصبحوا مضرب المثل فى الاخلاق الفاضلة النبيلة حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا بسبب أخلاقهم السمحة وشهد لهم التاريخ بذلك .

---

(١) ــ سورة الفجر آية ٢٧ ــ ٣٠ .
(٢) ــ سورة الشمس آية ٩ ــ ١٠ .
(٣) ــ سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٤) ــ سورة القلم آية ٤ .

٧ ــ ان بناء الفرد المسلم وصلاحه وتقواه والاهتمام به كفيل بأن يخرج أمة صالحة ولا يكون صلاحه متحققا الا بما صلح به أوله من الجيل الاول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين امتثلوا لاوامر الله المنزلة فى كتابه الحكيم وطبقوها عمليا فى حياتهم حتى قال قائلهم : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن(١) . فاقتفاء اثارهم والتشبه بحميد خصالهم وصفاتهم الطيبة كفيل بأن يصلح حال هؤلاء المتقفين ويعلى من شأنهم . كما قال الشاعر :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

وهذا لو أن الامة قامت بحفظ هذا الكنز الثمين وأولته رعاية واهتماما لانه يبنى الافراد جسميا وعقليا وروحيا وأخلاقيا كما يدعوهم اليه كتابهم العزيز الذى " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٢) . فان هم فعلوا ذلك وساروا على نهجه وهدايته ، فلا شك أن هؤلاء الافراد سيكونون أعضاء مساهمين فى رقى الامة وتقدمها ، فيجب أن يحفظوا هذا الذكر الحكيم فى أنفسهم ثم يترجموه ويطبقوه فى واقع حياتهم جميعها كما حفظه الله تعالى بقوله عز من قائل : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (٣) . والله غالب على أمره وهو من وراء القصد والهادى الى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) ــ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم الجزء الاول ص ٣ .

(٢) ــ سورة فصلت آية ٤٢ .

(٣) ــ سورة الحجر آية ٩ .

## مراجـــــع البحـــــــث


أولا : ــ القرآن الكريـــــم ٠

ثانيا : ــ قمت بترتيب مراجع البحث ترتيبا هجائيا حسب أسماء المؤلفين لها دون النظر الى الكنيـــة أو اللقب ٠

١ ــ أحمد أحمد غلوش ٠

الدعوة الاسلامية ــ دار الكتاب المصرى ــ دار اللبنانى ٠

٢ ــ الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبـــل ٠

مسند الامام أحمد بن حنبل ــ دار الفكر ــ للمكتب الاسلامى للطباعة والنشر ــ بيروت ٠

٣ ــ الدكتور أحمد زكى صالح ٠

علم النفس التربوى ــ مكتبة النهضة المصرية ــ الطبعة الحادية عشرة ٠

٤ ــ شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه الحرانى ٠

أ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ــ جمع وتحقيق عبد الرحمن بن قاسم وابنه ٠

ب ــ المسودة أصول الفقه ــ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ــ مطبعة المدنـــى ٦٨ شارع العباسية بالقاهرة ٠

٥ ــ الشيخ أحمد المعروف بشاه ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى ٠

حجة الله البالغة ــ دار التراث بالقاهرة ــ دار اللواء للنشر والتوزيع ٠

٦ ــ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٠

الاصابة فى تمييز الصحابة ــ مكتبة المتنبى ببغداد ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨هـ ــ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ٠

٧ ــ الامام الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى ٠

أ ــ تفسير القرآن العظيم ــ دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان ١٣٨٨هـ ١٩٦٦م ٠

ب ــ البداية والنهاية ــ مكتبة المعارف ــ الطبعة الاولى ١٩٦٦م

٨ - اسماعيل بن محمد العجلونى .

كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس - الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - مؤسسة الرسالة .

٩ - البهى الخولى .

تذكرة الدعاة - الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م .

١٠ - جمع واعداد لجنة من العلماء .

الاحاديث القدسية - مؤسسة جمال - بيروت - لبنان .

١١ - جودت سعيد .

حتى يغيروا مابأنفسهم - تقديم مالك بن نبى - دار الثقافة للجمعيات - الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٢ - حافظ بن أحمد حكمى .

معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد - دار الكتب العلمية بيروت .

١٣ - الدكتور حسن ابراهيم حسن .

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٦٤م .

١٤ - الامام حسن البنا .

المأثورات - مكتبة المنار - الكويت

١٥ - الراغب الاصفهانى - تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين .

١٦ - الدكتور زاهر عواض الالمعى .

مناهج الجدل فى القرآن الكريم - مطابع الفرزدق التجارية .

١٧ - سعيد حوى .

الاسلام - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٨ - الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد - الطبعة الاولى - منشورات المكتب الاسلامى بدمشق للطبع والنشر والتوزيع .

١٩ ـ سيد قطب ٠

أ ـ في ظلال القرآن ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م ٠

ب ـ خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ـ القسم الاول الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ـ دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه ٠

جـ ـ معالم في الطريق ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧م

د ـ هذا الدين ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م ٠

هـ ـ تفسير سورة الشعراء ـ دار الشروق ٠

٢٠ ـ صلاح عبد القادر البكري ٠

القرآن وبناء الانسان ـ مطبوعات تهامه ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م المملكة العربية السعودية ٠

٢١ ـ عباس محمود العقاد ٠

أ ـ التفكير فريضة اسلامية ـ منشورات المكتبة العصرية ٠

ب ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ٠

٢٢ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ٠

الاتقان في علوم القرآن ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

٢٣ ـ الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى ٠

مختصر منهاج القاصدين ـ اختصار نجم الدين ابى العباس احمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن قدامه المقدسى الحنبلى ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ الناشر ـ المكتب الاسلامى ـ دمشق ٠

٢٤ ـ عبد الرحمن بن على الزبيدى الشافعى المعروف بابن الديبع الشيبانى ٠

تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول ـ عنى بتصحيحه محمد حامد الفقى ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠

٢٥ ـ عبد الرزاق محمد أسود .

حياة الرسول المصطفى ـ الدار السعودية للموسوعات ـ بيروت ـ لبنان .

٢٦ ـ عبد الرؤوف شلبي .

الدعوة الاسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها ـ دار القلم ـ الكويت .

٢٧ ـ الدكتور عبد السلام عبد الغفار .

مقدمة في علم النفس العام ـ الناشر دار النهضة العربية ـ ٣٢ شارع الخالق

الطبعة الثانية ١٩٧١م .

٢٨ ـ الدكتور عبد العزيز الخياط .

المجتمع المتكامل في الاسلام ـ مؤسسة الرسالة ـ مكتبة الاقصى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٢٩ ـ عبد الكريم الخطيب .

١ ـ الدين ضرورة حياة الانسان ـ مؤسسة دار الاصالة للثقافة والنشر ـ الطبعة الاولى

١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

ب ـ قضية الالوهية بين الفلسفة والدين ـ الله والانسان ـ دار المعرفة للطباعة والنشر .

٣٠ ـ عبد الكريم العثمان .

الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ـ الناشر مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة .

٣١ ـ الدكتور عبد الله شحاته .

تفسير الايات الكونية ـ دار الاعتصام ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٣٢ ـ الدكتور عبد الله عزام .

العقيدة وأثرها في بناء الجيل ـ مكتبة الاقصى ـ عمان ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

٣٣ ـ عبد الله ناصح علوان .

تربية الاولاد في الاسلام ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .

٣٤ ـ الدكتور عبد الله يوسف الشاذلي ٠

المذكرة في مادة مناهج الدعوة للدراسات العليا بكلية الدعوة والاعلام ـ الرياض ٠

٣٥ ـ عثمان جمعه ضميرية ٠

التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان ـ دار القلم ـ الكويت ٠

٣٦ ـ عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المشهور بابن الاثـــير ٠

أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ المكتبة الاسلامية ٠

٣٧ ـ علي بن حبيب البصري الماوردي ٠

منهاج اليقين ـ شرح كتاب أدب الدنيا والدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

٣٨ ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي ٠

أ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيـــع الطبعة التاسعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٠

ب ـ روائع أدب الدعوة في القرآن والسيرة ـ ملتزم النشر والتوزيع المعهد العالمي للدعوة والفكر الاسلامـــي ٠

جـ ـ السيرة النبوية ـ طبع على نفقة أمير دولة قطر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

٣٩ ـ علاء الدين علي بن محمد ابراهيم البغدادي ٠

تفسير الخازن ـ الناشر محمد أمين دمج وأولاده ـ بيروت ـ لبنان ٠

٤٠ ـ علي بن محمد شريف الجرجاني ٠

كتاب التعريفات ـ مكتبة لبنان ـ ساحة رياض الصلح ٠ بيروت ٠

٤١ ـ الشيخ علي محفوظ ٠

هداية المرشدين ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ٠

٤٢ ـ الدكتور فاروق دسوقي ٠

حرية الانسان في الفكر الاسلامي ـ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ٠

٤٣ - مجمع اللغة العربية - المعجم الفلسفى - القاهرة - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤٤ - شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه .

ا - التبيان فى أقسام القرآن - دار الكاتب العربى - صحح وعلق عليه الشيخ طـــه يوسف شاهين .

ب - رسالة فى أمراض القلوب - تحقيق محمد حامد الفقى - دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ١٦/٨/١٤٠٣هـ .

جـ - شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

د - زاد المعاد فى هدى خير العباد - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

هـ - الفوائد - دار الفكر للطباعة والنشر .

اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - تحقيق محمد حامد الفقى - دار المعرفة بيروت - لبنان .

- الروح لابن القيم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٤٥ - محمد بن ابى بكر عبد القادر الرازى .

مختار الصحاح - عنى بترتيبه - محمود خاطر . طبعة دار المعارف .

٤٦ - محمد ابو زهرة .

خاتم النبيين - القسم الاول - عنى بطبعه عبد الله بن ابراهيم الانصارى - طبع على نفقة أمير دولة قطر - الدوحة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٤٧ - الدكتور محمد البهى .

الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - الناشر مكتبة وهبه - ١٤ شارع الجمهورية بعابدين - القاهرة - الطبعة الثامنة .

٤٨ - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى .

صحيح البخارى - المكتبة الاسلامية - استانبول - تركيـــا .

٤٩ ـ الدكتور محمد أمين المصرى ٠

سبيل الدعوة الاسلامية ـ دار الارقم بالكويت ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

٥٠ ـ أبو جعفر محمد جرير الطبرى ٠

مختصر تفسير الطبرى ـ اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى والدكتور صالح احمد رضا ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ٠

٥١ ـ محمد الحمداوى ٠

فى نطاق التفكير الاسلامى ـ دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ الطبعة الاولى ٠

٥٢ ـ الشيخ محمد الخضرى ٠

نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ـ دار الفكر ـ للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ٠

٥٣ ـ محمد بن درويش الحوت ٠

أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب ـ الناشر دار الكتاب العربى ٠

٥٤ ـ محمد رشيد رضـــا ٠

الوحى المحمدى ـ الطبعة الثامنة ـ المكتب الاسلامى ٠

٥٥ ـ محمد بن سعد بن منيع البصرى ٠

الطبقات الكبرى ـ دار صادر ـ بيروت ٠

٥٦ ـ محمد شديد ٠

منهج القرآن فى التربية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

٥٧ ـ محمد شفيق غربال ٠

الموسوعة العربية الميسرة ٠

٥٨ ـ محمد الطيب النجار ٠

القول المبين فى سيرة المرسلين ـ دار اللواء للنشر والتوزيع ٠

٥٩ ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ٠

العقيدة والاخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ٠ الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد ـ القاهـــــرة ٠

٦٠ - شمس الدين أبى الخير محمد عبد الرحمن السخاوى .

المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦١ - ابو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر احمد الشهرستانى .

الملل والنحل - تحقيق الاستاذ عبد العزيز محمد الوكيل - الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع - شارع جواد حسنى - القاهرة - دار الاتحاد العربى للطباعة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٦٢ - الدكتور محمد عبد الله دراز .

ا - النبأ العظيم - طبعة دار القلم بالكويت - الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

ب - المختار من كنوز السنة - عنى بنشره عبد الله ابراهيم الانصارى - طبع على نفقة أمير دولة قطر .

جـ - دستور الاخلاق فى القرآن - تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور سيد محمد بدوى - مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٦٣ - محمد عبد الملك بن هشام .

السيرة النبوية - دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

٦٤ - الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب .

مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب - القسم الاول العقيدة والاداب الاسلامية .

٦٥ - محمد على الصابونى .

صفوة التفاسير - طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر - الدوحة الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٦٦ - محمد على الفاروقى التهانوى .

كشاف اصلاحات الفنون - حققه الدكتور لطفى عبد البديع - ترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد المنعم محمد حسنين - مراجعة الاستاذ أمين الخولى - وزارة الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٦٧ ـ محمد بن على بن محمد الشوكانى ٠

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدرايـة من علم التفسير ـ الناشر محفوظ العلى ـ بيروت

٦٨ ـ محمد الغزالى ٠

ا ـ هذا ديننا ـ طبع على نفقة ادارة احياء التراث الاسلامى ـ دولة قطر ٠

ب ـ مع الله ـ مطبعة حسان ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٠

جـ ـ خلق المسلم ـ دار القلم ٠

٦٩ ـ محمد فؤاد عبد الباقى ٠

ا ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ دار مطابع الشعب ٠

ب ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ دار احياء التراث العربى ٠

٧٠ ـ محمد فريد وجدى ٠

دائرة معارف القرن العشرين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٧١م

٧١ ـ محمد الفقـى ٠

النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ـ مكتبة ومطبعة محمد على صبيـح

واولاده ـ الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ٠

٧٢ ـ محمد قطب ٠

دراسات قرآنية ـ دار الشروق ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ٠

٧٣ ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ٠

احياء علوم الدين ـ كتاب الشعب ٠

٧٤ ـ الدكتور محمد محمود حجـازى ٠

التفسير الواضح ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٠

٧٥ ـ ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى ٠

لسان العرب ـ دار صادر ٠

٧٦ ـ محمد بن يوسف الكاندهلوى ٠

حياة الصحابة ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ٠

٧٧ ـ جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٠
أساس البلاغة ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ٠

٧٨ ـ ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٠
صحيح مسلم ـ دار الكتب العلمية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠

٧٩ ـ الدكتور مصطفى الرافعي ٠
الاسلام نظام انساني ـ قدم له وراجعه الشيخ حسن تميم ـ منشورات مكتبة دار الحياة بيروت ـ الطبعة الثانية ٠

٨٠ ـ الدكتور مصطفى السباعي ٠
أخلاقنا الاجتماعية ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ٠

٨١ ـ الدكتور مصطفى عبد الواحد ٠
شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم ـ طبع على نفقة ادارة الشئون الدينية بدولة قطر ـ الدوحة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ٠

٨٢ ـ مناع القطان ٠
ا ـ مباحث في علوم القرآن ـ منشورات العصر الحديث ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ٠
ب ـ مقال عن النفس السوية في ظل العقيدة الاسلامية ـ مجلة اضواء الشريعة العدد الثالث محرم ١٣٩٢هـ ٠

٨٣ ـ الدكتور نبيل السمالوطي ٠
بناء المجتمع الاسلامي ونظمه ـ دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ـ جده ـ الطبعة الاولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ٠

٨٤ ـ وحيد الدين خان ٠
الاسلام يتحدى ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة السابعة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠

٨٥ ـ شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ـ معجم البلدان ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٨٦ ـ الدكتور يوسف القرضاوى .
الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف من سلسلة كتاب الامة ـ الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

**********

## فهـــرس الموضوعـــــات


| الموضـــــــــــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| مقدمة البحث | ١ |
| شكر وتقدير | ٤ |
| المدخل تعريفات بمفردات البحث | ٥ |
| البناء فى اللغة والاصطلاح | ٥ |
| المقصود به هنـــــــا | ٥ |
| الفرد فى اللغة والاصطلاح | ٦ |
| المقصود به هنـــــــا | ٦ |
| العهد فى اللغة والاصطلاح | ٧ |
| معنى الدعوة فى اللغة والاصطلاح | ٨ |
| معنى المكى فى اللغة والاصطلاح | ١٠ |
| المراد به فى دراستنـــــا | ١١ |
| **الفصـــل الاول** | |
| **البنـــاء الادراكى** | ١٢ |
| تمهيـــــد | ١٢ |
| أهمية الادراك الانسانى | ١٣ |
| الادراك الحســـــى | ١٣ |
| معرفة الحواس دليل على خالقها | ١٤ |
| موقف القرآن من الحـــواس | ١٦ |
| معنى العقل فى القـــرآن | ١٨ |
| الادراك العقلـــــــى | ٢١ |

| الموضـــــوع | رقم الصفحـــة |
|---|---|
| التربية العقليـــــة | ٢٢ |
| دعوة القرآن للعقـــل | ٢٤ |
| دور العقل في مواجهة الافكار المعارضة للانســان | ٢٧ |
| العلاقة بين العقل والشرع | ٣٠ |
| العلاقة بين العقل والقلب | ٣١ |
| معنى القلب في القرآن | ٣٢ |
| الادراك القلبـــي | ٣٤ |
| أحوال القلب ومسؤوليتـــه | ٣٦ |
| عيوب القلب وأمراضـــه | ٣٨ |
| تحقيق التوازن بين المطالب المادية والروحية | ٤٢ |
| بيـــان وتعقيـــب | ٤٤ |
| **الفصـــل الثانـــي** | |
| **التكوين العقـدي** | ٤٦ |
| تمهيـــد | ٤٦ |
| موقف العرب من العقيدة قبل البعثة | ٤٩ |
| ضرورة وجود عقيـــدة | ٥١ |
| عناصر العقيـــدة | ٥٢ |
| الايمان بالله وحـــده | ٥٢ |
| الايمان بالملائكـــة | ٥٤ |
| الايمان بالكتب السماويـــة | ٥٦ |
| الايمان بالرســـل | ٥٧ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| شبهة انكار الرسل من البشر والرد عليها | ٥٩ |
| الايمان باليوم الآخر | ٦١ |
| الايمان بالقضاء والقدر | ٦٣ |
| ذكر العقائد الفاسدة | ٦٦ |
| عقيدة الوثنية والشرك | ٦٦ |
| عقيدة الصابئة | ٦٧ |
| عقيدة التشبيه في اليهودية | ٦٩ |
| عقيدة التثليث عند النصارى | ٧٠ |
| بيان وتعقيب | ٧٢ |
| **الفصل الثالث** | |
| التربية النفسية | ٧٦ |
| تمهيد | ٧٦ |
| معنى النفس في القرآن | ٧٨ |
| العلاقة بين النفس والروح | ٨٠ |
| أنواع النفوس وحالاتها | ٨٢ |
| عناصر التهذيب النفسي | ٨٤ |
| المجاهدة | ٨٤ |
| المحاسبة | ٨٨ |
| لفت النظر الى عيوب النفس وأضرارها | ٩٠ |
| بيان وتعقيب | ٩٢ |

| الموضـــــوع | رقم الصفحـــة |
|---|---|
| **الفصل الرابـــــع** | |
| بناء الاخلاق والسلـــوك | ٩٤ |
| تمهيـــــد | ٩٤ |
| الاخلاق عند العرب فى الجاهليـــــة | ٩٦ |
| موقف الاسلام من الاخلاق العربيـــة | ١٠٠ |
| أبرز الصفات الاخلاقية الاسلامية | ١٠٢ |
| الصـــــدق | ١٠٣ |
| الامانـــــة | ١٠٥ |
| الوفـــــاء | ١٠٦ |
| الرحمـــــة | ١٠٨ |
| العدل والاحســـان | ١٠٩ |
| المسؤولية الاخلاقيـــة | ١١١ |
| الجـــزاء الاخلاقـــى | ١١٢ |
| بيان وتعقيـــب | ١١٤ |
| الخاتمـــــة | ١١٧ |
| مراجع البحـــــث | ١٢٠ |
| فهرس الموضوعـــات | ١٣١ |